الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: **1635086351**

رقم التسجيل ط2: **1635112563**

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

الحزن في شعر نازك الملائكة "خمس أغانٍ للألـم " أنموذجا

إعداد الطالبتين:

لطرش إيمان فطوم خضراوي شيماء

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة	الإمضاء
01	جادي عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف	رئيسا	
02	عبد العزيز بوشلالق	أستاذ	جامعة محمد بوضياف	مشرفا ومقررا	
03	بوديسة بولنوار	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف	ممتحنا	

السنة الجامعية: 2020- 2021

بسم الله الرّحمن الرّحيم

شكر وعرفــان

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق والمرسلين إلهي لا يطيب اللّيل إلا بشكرك ولا يطيب النّهار إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك.

أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى من حملوا أقدس رسالة في هذه الحياة، إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذتنا الكرام ونخصّ بالذكر الأستاذ: **عبد العزيز بوشلالق** الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنّا كل خير، كما نتقدّم بالشكر كذلك إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث وقدّم لنا العون ويد المساعدة، إلى كل من زرع التفاؤل في دربنا وقدّموا لنا المساعدات والتسهيلات فلهم منّا كل الشكر والتقدير والعرفان.

إهداء

إلى كل من كلّله الله بالهبة والوقار إلى من علّمني العطاء بدون انتظار.

إلى من نحمل اسمه بكل افتخار إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنّته.

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى ملاكي في الحياة إلى المرأة الصامدة أمام كل عقبات الحياة إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها.

إلى كل إخوتي الأعزّاء إلى صهري وأولاده بشير وأصيل حفظهم الله.

إلى من كان لي خير عون وسند في كل لحظات حياتي

إلى كـل من وسعهـم قلـبي ولم تسعهــم ورقتــي

إيمان

إهداء

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع وهذا من فضله.

أهــدي بحــثي إلـــى:

منبع الإرادة ومصدر قوتي وصاحب الوجه الطيب " أبي الغالي " حفظك الله.

إلى منبع العطف والحنان وأعز النّاس وأقربهم إلى قلبي " أمي الحبيبة " شكرا على دعائك لي بالتوفيق، حفظك الرّحمان.

إلى الذين أفتخر وأعتز بهم كونهم إخوتي وخاصّة أخي الصغير " رسيم "، ولا أنسى ابنة أختي " ميرال ".

إلى مثال الصداقة ونبل الأخلاق ومن تذوّقت معهم أحلى اللحظات " صديقاتي ".

إلى أستاذي المشرف الذي غمرني بالنّصح والإرشاد.

إلى مـن ساعـدني في كتابـة هـذه المذكّـرة.

شيماء

مقدّمة

الحمد لله الذي جعل العلماء صفوة خلقه، ورفع لهم منزلة وقدرًا، والصلاة والسلام على النبي محمد أعظم الخلق.

لقد حرّكت التجربة الشعرية الجديدة، أقلام الكثير من الأدباء والنقّاد، بعد جهود طويلة وبعد نفاذ كل المحاولات الأدبية التي حافظت على المألوف من الشعر العربي القديم، والتي بعثت الطمأنينة في نفس القارئ لأن كل شيء على ما يرام، ولا يمكن لأحد أن يبدع أحسن ممّا كان عليه، إلاّ أن الشعر العربي المعاصر جاء بالتغيير والتجديد، لا من باب القذف بالثقافة القديمة إلى البحر، أو الخروج من الجلد القديم، وإنّما من باب التعبير عن واقع الإنسان المعاصر وتجديد همومه وأشواقه إلى تخطّي زمن التخلّف وتأكيد انتمائه إلى هذا العصر الذي دمّره وأفزعه، ليطرح تساؤلاته وشكوكه التي تبعث على القلق والحزن والتي توحي لنا بأنّ لا شيء في هذه الحياة على ما يرام، وأنّ هناك فرصا كثيرة للإبداع والخلق تخرج عن العادة وعن كل ما هو معروف، وبالفعل قد مكّنت هذه التجربة شعراء كثير ين أن يضعوا أقدامهم على مشارف واقع جديد، واقع ينتمي إلى عصر حبّ الاطّلاع والرغبة في الخروج من زمن الثبات والجمود، فظهرت أصواتٌ جديدة تشقّ طريقها كالمصابيح في ظلمات اللّيل، وتمهّد لأساليب جديدة، في الثقافة والحياة المعاصرة، وتعدّ نازك الملائكة صوتا من تلك الأصوات التي أبدعت في نقل تجربتها الحزينة في الحياة. ولأنّ هذه التجربة الجديدة عند هذه الشاعرة أو عند غيرها من الشعراء الآخرين، تحمل قضايا واسعة ومتشبّعة هي في حاجة إلى الوقوف عندها بكل دقّة وعمقٍ.

لذلك ارتأينا في بحثنا هذا رصد ظاهرة الحزن في قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة إذ أنّها تعدّ واحدة من أكثر القصائد التي برز فيها الحزن وحملت طابع الألم والأسى. وممّا لا شكّ فيه أنّ أي دراسة مهما كانت طبيعتها إلاّ ولها غاية أو هدف ترمي إليه وهو ما نجده كنقطة في عملنا ، حيث نسعى إلى دراسة الحزن في شعر نازك الملائكة كظاهرة لها حضورها وتجلّياتها وتأثيرها في العديد من القصائد التي تم التطرّق إليها وأهمها خمس أغانٍ للألم، ويهدف كذلك إلى محاولة التعرّف على الأسباب التي أثّرت على العالم

النفسي للشاعر المبدع، والتي جعلت منه إنسانا حزينا ينفث حزنه ويسكب آلامه في قصائده، كما يسعى البحث لتبيان أسباب الحزن وعلاقته بالواقع وبالظروف المعيشي لشعراء العالم العربي بصفة عام ة وللشاعرة نازك الملائكة بصفة خاصّة، الذين طغت تلك الظاهرة على نتاجاتهم الإبداعية.

من الطبيعي أنّه ما من دراسة تُعنى بالاهتمام والبحث إلاّ ولها أهميّة تجعلها كذلك وهذا هو حال موضوع دراستنا، إذ تأتي أهميّة هذا البحث من أهمية الظاهرة التي يتطلّع لمعالجتها وكذلك من أهميّة القصائد التي يختارها كعيّنات للدراسة، فظاهرة الحزن لما لها من حضور لافت للنظر في شعر نازك الملائكة تستوقف الدارس، وتطرح العديد من التساؤلات حول شيوع تلك الظاهرة وسيطرتها على العوالم النفسيّة للعديد من شعراء الحداثة، لا سيما وأنّ أولئك الشعراء هم من الشعراء والروّاد ممّن كان لهم الفضل في تأسيس ظاهرة الحداثة أومن الشعراء الأعلام الذين تكتسب تجربتهم الشعرية أهميّة خاصّة في فهم الشعر العربي الحديث.

وعليه يتبادر إلى أذهاننا طرح الإشكال الآتي من بين طيف من التساؤلات:

- **أين يتجلّى الحزن في شعر نازك الملائكة من خلال قصيدة خمس أغانٍ للألم ؟**
- **وما هي أسباب انتشار هذه الظاهرة وتجلّيها في الشعر العربي المعاصر ؟**

رغم الاهتمام الكبير الذي لقيته ظاهرة الحزن في مختلف النصوص الأدبية الشعرية إلاّ أنّه بقيت جوانب كثيرة منها مغمورة تشوبها الضبابية ولم تحظى بالقسط الوافر من الدراسة لذلك تحتاج إلى من يتولاّها بالدرس والتحليل، وهذا من واقع اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ: الحزن في شعر نازك الملائكة " خمس أغانٍ أنموذجا ". وإلى جانب هذا السبب نذكر أسبابا أخرى أهمّها:

- أنّ المتصفّح لمختلف المنشورات الصادرة في بعض الأقطار العربية يدرك أنّ ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة لما يحمله من صدق التجربة لم تعرف طريقها إلى الممارسة النقدية إلاّ في حالات قليلة وفي شكل شظايا متناثرة في طيّات الكتب.

- أنّ شعر " نازك " في معظمه ذو سمة يغلب عليها طابع الحزن، وهذا ما يجعل موضوع بحثنا ليّنًا حيث يُسهّل علينا السيطرة عليه، والقدرة على استنباط تجليّات الحزن التي تحملها القصيدة.

- تعاني هذه الدراسة وبشكل حاد من شح التطبيق، خاصّة القصيدة التي تناولناها في موضوع بحثنا (خمس أغانٍ للألم).

- كما نستدرج سببا ثانيا أهم وهو أنّ موضوع بحثنا ضغط على الجرح والتمس واقع أمّتنا العربية الذي ما زال ينزف ليومنا هذا.

- وأيضا حبّنا للاكتشاف والتطلّع إلى المكبوتات الجمالية والفنيّة التي تخفيها القصيدة من منظور هذه الظاهرة.

- قادتنا المادّة العلمية التي رصدناها لبناء الموضوع إلى تجزئة البحث لفصلين: يتقدّمها فصل أوّل نظري بعنوان: " ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر" الذي ينطوي على ثلاث عناصر كما هي على التوالي: (التعريف اللغوي والاصطلاحي للحزن، أسباب ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر، مظاهر وتجليّات الحزن في الشعر العربي المعاصر).رفي حين تطرّقنا إلى الجانب التطبيقي في الفصل الثاني تحت عنوان: " تجليّات الحزن في قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة "، ويتضمن عنصرين:(لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة تحليل قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة)، إذ يعدّ هذا الفصل أهم جزء في البحث باعتباره جوهر موضوعنا، والنقطة الأساسية التي يهدف موضوع بحثنا إلى دراستها، لنختم عملنا المتواضع بأسطر نستدرج فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج والوقوف على أهم النقاط، إذ ارتأينا حضور المنهج الوصفي التحليلي كعا مل

أساسي ومساعد يتماشى ونوعية الموضوع ويمنحه خصوبة تسهم في جعله ليّنًا، لاجئين في ذلك إلى العديد من الدراسات التي تطرقّت لدراسة ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث والمعاصر، الأمر الذي يدل على حضور تلك الظاهرة وأهميتها في التجربة الشعرية الجديدة، ومن أبرز تلك الدراسات على سبيل المثال ما كتبه الدكتور " عز الدين اسماعيل " في كتابه " القيّم " (الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية)، وما كتبه الدكتور شوقي ضيف في كتابه (دراسات في الشعر العربي المعاصر) وغيرها من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بهذا المقدار أو ذاك وقد حاولنا الإفادة منها قدر الإمكان، وبعد هذا التخطيط الملم بثنايا البحث يجدر بنا الإشارة إلى أنّ ظروف إنجازه لم تكن في صالحنا إذ اصطدمنا ببعض الحواجز كنقص المراجع المتعلّقة بالموضوع، وكذا صعوبة التعامل مع النص الشعري.

وأخيرا نتمنى أن نفيد أو نستفيد ولو بجزء بسيط، وأن نسلّط الضوء على هذا الموضوع حتى يكون بداية لبحوث أخرى تتناول جوانب خفية لهذه الظاهرة.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف " عبدالعزيز بوشلالق " الذي لم يتوان في تزويدنا بالنصح والتوجيهات.

الفصل الأول:

ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر

تمهيد:

يشكّل الحزن ظاهرة لها حضورها وامتدادها في معظم التجارب الشعرية الحديثة، خلافا لما كان عليه الحال في الشعر العربي القديم، فاللافت للنظر أن ظاهرة الحزن في شعرنا الحديث لم تعد ظاهرة آنية ترتبط بأسباب عرضية، أو بحدث ما يلم بالشاعر ويدفعه إلى الحزن كما كان الحال في شعرنا العربي القديم(الخنساء في رثاء أخيها / أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه وجرير في رثاء زوجته)، وفي الشعر الحديث لم يعد الشعر مقتصرا على قصائد بعينها تحتوي غرضا شعريا مستقلا هو غرض الرثاء أو شعر الشكوى، بل صار الحزن ظاهرة معنوية تدخل في بنية العديد من القصائد عند الكثير من الشعراء، ومن البديهي أن ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث تختلف في عمقها وانتشارها بين شاعر وآخر، كما تختلف في أسبابها وبواعثها ومبرّراتها، لكن مهما يكن الأمر فنحن أمام ظاهرة تطغى على الشعر العربي الحديث، وإن كانت بنسب متفاوتة بين هذا الشاعر أو ذاك، أو بين هذه المجموعة الشعرية و تلك، وذلك تبعا لطبيعة المرحلة والحالة النفسية التي كُتبت فيها القصيدة.

وفي محاولة منّا سوف نتعرض في فصلنا إلى ماهية الحزن وضبط أسبابه ومظاهره وتجليّاته.

أولا: مفهوم الحزن

1/ الحزن لغة:

يرى ابن منظور أن: "الحُزن والحَزن هما نقيضا الفرح، وهو خلاف السرور، والجمع أحزان. وقد حَزِنَ حَزَنًا وتَحَازَنَ وتَحَزَّنَ، ورَحَلَ حَزْنَان ومِحزَان: شديد الحُزنِ"[1].

[1]ـ ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان،1994، ص111.

كذلك الحُزن يأتي بمعنى الغَم، يُقال: " حَزِنَ الرّجل أي اغتَمَّ، أَحْزَنَ المكان:حَزُنَ، أَحْزَنَ بهم المنزل: بنا بهم، وحَزِنَ فُلان: صار في الحُزنِ، حَزَّنَ القارئ في قراءته: رقَّقَ صوته بها فحَازَنَ: ادّعى الحزن. والحَزْنُ من الأرضِ، ما غَلُظَ، ومن الدواب ما أصبحت رياضته ومن الناس ما خَشُنَت معاملته "[1].

ترد كلمة الحزن بفتح الحاء وضمِّها، فيقال: " الحَزْن " أو " الحُزْن " وفي ذلك يقول "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" : "رُوي عن أبي عمرو: إذا جاء الحزنُ منصوبًا فتحوه، وإذا جاء مكسورًا أو مرفوعًا ضمُّوه "[2].

وقد تحمل كلمة " الحزن " دلالة الغَلَظة والخشونة، فيقال: " الحَزَن كل ما غَلُظَ من الأرض واخشَوشَن، والحُزونة هي: الخشونة، والحُزَن هي الجمال والغلاظ، الحَزْنُ من الدواب ما خَشُنَ، والحزون هي النشأة السيئة الخلق "[3].

ويقول ابن فارس في ذلك: " الحاء والزاي والنون أصلٌ واحدٌ وهو خشونة الشيء وشدّةٌ فيه، فمن ذلك الحَزَنْ، وهو ما غَلُظَ من الأرض، الحُزن معروفٌ يقال حَزَنني الشيء يَحزُنُنِي وقد قالوا أَحْزَنَنِي، وحُزَانَتُك أهلك ومَن تَتَحَزَّنُ له "[4].

ويمكن الإحاطة ولو بالشيء اليسير لفظة الحزن من ناحية المعنى وهي ما خَشُن في صدر الرّجل، تبعا لمعنى الكلمة في الأرض، وهي كذلك الشدّة في الأمر، وحزن الرّجل على عياله وأهله تحزنه لما يحصل له من غمٍّ وخشونة في النّفس وهو الحزن الذي يكون نقيض الفرح.

---

[1]ـ مجمّع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، (د ط)، الجزء الأول، دار الجمهورية للصحافة، 1985، ص177.

[2]ـ الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامري، ج3، د ط، د ت، ص160.

[3]ـ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص114.

[4]ـ أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (حزن)، د ط ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ص54.

والمعنى المعجمي للحزن يدور في إطار ما فيه شدّة وخشونة، فهي تصيب النفس جرّاء الهمّ والغمّ الذي يكتنفها.

2/ الحزن اصطلاحا:

اختلفت وتعدّدت آراء العلماء في تحديد مفهوم دقيق للحزن تبعا لاختلاف أفكارهم ووجهات نظرهم.

أ/ الحزن في القرآن الكريم:

يتكرّر مصطلح " الحزن " في آيات القرآن الكريم أكثر من مرّة، وفي مناسبات مختلفة يحمل دلالات حسب السياق والمقام ومن ذلك:

– الحزن هو " انفعالٌ مضادٌّ للفرح والسرور وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصًا عزيزا أو شيئا ذا قيمة كبيرة أو إذا حلّت به كارثة ما، أو فشل في تحقيق أمر هام، ويشعر الآباء والأمهات عادة بالحزن إذا ما غاب أبنائهم عنهم، أو إذا ما لحق بهم أذى ما أو أصابهم مكروه

وقد أشار القرآن إلى حزن أم موسى عليه السلام حينما ابتعد عنها، بعد أن وضعته في صندوق وألقت به في النهر وقذف به الموج بعيدا عنها "[1].

وفي ذلك يقول الله عزّ وجل {وَرَدَدْنَاهُ إلى أُمّه كَيْ تَقَرّ عَيْنَهَا وَلاَ تَحْزَنْ...}[2].

ويقول تعالى:{ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمّكَ كَيْ تَقَرّ عَيْنَهَا ولاَ تَحْزَنْ...}[3].

أما عن دلالة " ولا تَحزَنْ "في هذه الآية –سورة طه– " أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك "[4] بمعنى أن يطمأن قلبك ويرتاح.

---

[1]ـ محمد عثمان نجاسي، القرآن وعلم النفس، ط6، دار الشروق، ص100،ص101.

[2]ـ سورة القصص، الآية 13.

[3]ـ سورة طه، الآية 40.

[4]ـ عبد الرحمن المحمدي، تفسير سورة طه، ط1، مطبعة الفجر الجديد، 1990، ص97.

" وما ورد في سورة القصص (الآية 13) يقتضي التفسير الأول، حيث الأخبار عن أمّ موسى عليه السلام " [1].

ب– يقول الله تعالى:" وقَالُوا الحمدُ لله الذِي أَذْهَبَ عنَّا الحَزَنَ إنّ ربّنا لغفورٌ شكور" [2].

فكلمة " الحزن " في هذه الآية تعني "حزن تقلب القلب، وخوف العاقبة وحزنٌ هول البعث والموقف، وحزن النّار، وحزن الخروج، وحزن ألاّ يُقبل عمله، وحزن خوف الشيطان، وحزن معيشة الدنيا كالكسب وكراء الدّار، وحزن الآفات والمصائب، وكل مكروهٍ " [3].

–وقد ذكر القرآن الكريم أيضا شعور الحزن الذي ألّم بأبي بكر رضي الله عنه، حينما كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار، وكان الكفّار يطاردونهما لقتلهما، وفي ذلك يقول عزّوجل "... إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ الله مَعَنَا..." [4].

" والمراد هنا بالنهي عن الحزن مجاهدة النّفس وتوطينها على عدم الاستسلام " [5].

ومن طبيعي أن تسيطر على الإنسان مظاهر الخوف والحزن والفرح في مثل تلك المواقف، غير أن الحزن والخوف كان حاصلا لأبي بكر بقوله: " لا تَحزَنْ إنّ الله معنا " [6].

وفي هذه الآية اقترن الخوف بالحزن، فأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه كان خائفا من أن تلمّ قريش بهما وينكشف أمرهما، وهذا الخوف والجزع سبّب له حزنًا كبيرًا.

---

[1] ـ عبد الرحمن المحمدي، تفسير سورة طه، ص97.

[2] ـ سورة فاطر، الآية 34.

[3] ـ الحاج محمد يوسف أطفيش، تيسير التفسير، تحقيق محمد طلاي، ج11، د ط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د ت، ص480.

[4] ـ سورة التوبة، الآية 40.

[5] ـ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج13، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د ت، ص40.

[6] ـ المرجع نفسه، ج9، ص218.

–وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ من يخاف على المسلمين من سخط الله وعذابه، فتجتاحه مشاعر الحزن حينما يرى الكفّار لا يؤمنون بالله، وبما أنزل عليه من القرآن، وفي ذلك يقول الله تعالى: " فَلاَ يُحزِنْكَ قَولُهُم إِنّا نَعلَمُ مَا يُسِرُّون ومَا يُعْلِنُونْ " [1].

وقوله تعالى: " قَدْ نَعلمُ أَنّهُ ليحزُنكَ الذِي يَقُولُون فإِنَّهُمْ لاَ يُكَذّبُونَكَ ولَكِن الظالمِينَ بآيَاتِ الله يَجْحَدُونْ "[2].

وقوله تعالى: " وَمَنْ كَفَرَ فَلاَ يُحزِنكَ كُفرُهُ إلينَا مَرجِعُهُ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إنّ الله عليمٌ بِذَاتِ الصّدُور "[3].

كما يظهر من خلال هذه الآيات تقاربٌ كبيرٌ بين مفهوم الحزن والهم والغم والخوف وخلاصة القول في كلّ ذلك أنّ مصطلح " الحزن " تكرّر وروده في القرآن الكريم عدّة مرّات وفي سياقات مختلفة، وقد كان متقاربا مع بعض المعاني كالخوف والهمّ والغم والكآبة.

ب/ الحزن في علم النفس:

يعتبر العالم النفسي " سيغموند فرويد " أن مظاهر الحزن إنّما تتجلى في المبدع عن طريق الاكتئاب الذي ينتابه، فالحضارة " في مطالبها المتعدّدة التي قد لا يقوى الفرد على تحقيقها تنتهي به إلى ضربٍ من الاغتراب وكره الحياة التي يحياها "[4].

كما قد تتجلّى مظاهر الحزن عن طريق ما يسمّى (النكوص) الذي هو " الرجوع والارتداد والعودة إلى مرحلة العمر...، كما يمكن أن نجده في الشعر يتمظهر في الحنين إلى الماضي عموما، وفي الحنين إلى مرحلة الطفولة خصوصا "[5].

---

[1] سورة يس، الآية 76.

[2] سورة الأنعام، الآية 33.

[3] سورة لقمان، الآية 23.

[4] ـ خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص88.

[5] ـ المرجع نفسه، ص88.

فالنكوص " سلوك دفاعي لشخص غير متكيّف مع أنماط حياته الحاضرة، فهو لأسباب ما لا يستطيع إشباع حاجاته النفسية "[1].

إنّ لعلم النّفس نظرة عميقة للنفس البشريّة وبما تعانيه من أحزان، لأن الحزن أساسا منشأه إحساس الشخص بعدم الرضا والتوافق مع المحيط الذي يحيا فيها، وهذا الإحساس بالخلل وعدم التوازن وبالقلق والاضطراب كفيلٌ بأن ينتج لنا في الأخير إبداعا فنيّا ترافقه نبرة حزن عميقة.

ج/ الحزن في الشعر العربي المعاصر:

الحزن ضد السرور، وهو حالة نفسيه تُصيب المرء لفترة زمنية تطول وتقصر، وتتفاوت في شدّتها ووطأتها بين إنسان وآخر، والحزن يشكّل سمة تطغى على العديد من القصائد وتنتشر في أعمال العديد من أعمال الحداثة...، والحزن ليس وقفا على شاعر بعينه، كما أنه ليس ظاهرة محصورة في مجموعة شعرية دون سواها، بل يكاد يكون سمة ملازمة لمعظم النتاجات الشعرية الحديثة، وإن كانت تتفاوت في حدّتها بين شاعر وآخر، أو بين قصيدة وأخرى لكنّها وبكل الأحوال لم تعد وقفا على حدث ما أو ظرف طارئ يلم بهذا الشاعر دون سواه، بقدر ما هي ظاهرة مضطردة نقع عليها في العديد من القصائد الشعرية [2].

والحزن في الشعر العربي المعاصر نجده واضحا ويشكّل محورا فيه، ويرجع ذلك لرؤية الشاعر لجانبٍ واحدٍ في الحياة وهو جانب القتامة، حيث يقول الناقد عز الدين إسماعيل في ذلك:

" ونجد في ذلك شعرنا المعاصر قد استفاضت نغمة الحزن حتى صارت ظاهرة الحزن محورا أساسيا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون في قصائد، وأبرز ما يوجّه إلى هذه

---

[1]ـ خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، ص88.

[2]ـ ينظر – أحمد سيف الدين ، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، مجلد 37، عدد 10، 2015، ص99.

النزعة هو أنّ الشعراء قد صاروا يلحّون على إبراز جانب واحد من الحياة، وهو جانب القتامة فيها، وأنهم يغمضون عيونهم من جانب البهجة " [1].

ومجمل القول أنّ لفظة الحزن في الاصطلاح تكمن في كون التغيير الذي يحصل على حال الإنسان وتبدّل حاله كأن يسمع خبر " محزنًا " أو يرى أمرًا يُحزنه فينعكس هذا على نفسه والحزن كما هو معروف ضد الفرح، والحزن يكون في نفس الإنسان كذلك يكون ملحوظا على شكل الشخص الحزين، ويصبّ في نفس معنى الكآبة والحسرة والهم والغم.

ثانيا: أسباب ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر

قبل البدء في الحديث عن أسباب الحزن في الشعر العربي المعاصر، نريد أن نوجّه ملاحظة إلى كل من يعتقد أن الكلام عن الحزن دلالة على أن صاحب الكلام حزين.

إن صحّة هذا الاعتقاد تبقى نسبية، لأن لكل واحد منّا مشاعر وأحاسيس خاصّة به لانستطيع الكشف عنها من خلال اختياره لدراسة موضوع ما، فالمشاعر لا تحدّدها نوعية الدراسة وإلاّ لكان الدارس لظاهرة التشاؤم متشائما والدارس لظاهرة التفاؤل متفائلا.

لقد عاش الشاعر الحديث والمعاصر دائم الاحتكاك بواقعه ولم يعش في نعومة ونعيم بل إنّه عاش ولا يزال يعيش بين نار ذاته وطاعون واقعه، ولنا الحقّ في القول إنّ هذا الشاعر مثل الواقعية الجديدة أسبق تمثيل. إذ التحمت في شعره مشاكل واقعية مع الوجدان. فالحزن الذي أصاب الشاعر لم يأتي من العدم وإنمّا عندما أراد الشاعر أن يكون مخلصا لذاته ويمنحها ما أرادت من حقوقها عليه، اصطدم بالواقع وبالنظام الخارجي. من هنا نقول أن الواقع وظروفه المؤلمة هي التي تسبّبت في حزن الشاعر العميق والصادق. ذلك الحزن الذي نتج عنه الاضطراب والحيرة والقلق. لكنّ الشاعر الحديث والمعاصر في حزنه الأول، نقول حزنه الأول لأن للشاعر حزنًا ثانٍ هو أمرٌ وأصعب، لم يُشفى منه نظرًا لهزيمة شعره أمام الواقع المرير. فالشاعر في حزنه الأوّل، أراد أن يكون شعره حجّة على عصره، يثور به

[1] ـ عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر –قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية–، ط3، دار الفكر العربي، ص353.

ويرفض ويتمرّد على واقعه المتخلّف والمنحط. وذلك كلّه من أجل أن يخلُق عصرا آخر، "بل إنّه يحترق اشتياقا إلى عالم جديد" [1] عالم يخلق له الكفاية والعدالة، ويحقّق له المشاعر الإنسانية الظاهرة التي يفتقدها في هذا الواقع الصعب.

إن الشاعر الحديث والمعاصر ينظم من الشعر ولا يزال ينظم إحساسات ومشاعر صادقة واعية للواقع المتخلّف الذي يتمثّل في فساد الحكم وفساد مظاهر السلوك والقيم الاجتماعية والعادات ويثور على الفقر والبطالة والجهل والمرض. ووفق هذا الإطار الاجتماعي والحضاري الذي نعيش فيه، فإنّ الشاعر يعاني ألوانًا مختلفة من المعاناة، أصعبها أن يكتشف الشاعر أن الإنسان هو نفسه، " اللاعقل الضعيف المتقاتل على التوافه، المتناحر على الأشلاء والجيف، ما زال هو هو الإنسان الذي يفتك قويّه بضعيفه... والذي يُفاضل بين بشرة وبشرة، وعقيدة وعقيدة وسلالة وسلالة كأنما هو ما يزال في أول الطريق يحبو"[2].

ومن الحقائق المرّة التي عذّبت الشاعر الحديث، انفصال النّاس عن رابطة الأخوّة الإنسانية هذا الشعور الطيّب بين قلوب النّاس بدأ يختفي فكل شيء تغيّر في العلاقة الإنسانية من حبٍّ وصداقة، إلى غير ذلك من المشاعر الطاهرة، وقد صدق من قال: إن المصالح تفسد العواطف وأصبحت الخيانة والغدر من سمات المجتمع الحديث.

إنّ المصلحة الماديّة هي لغة من العصر، بها تقاس القيم الإنسانية وبها تُحدّد المستويات فكيف للشاعر الحديث والمعاصر ألاّ يحزن ؟ وكيف له ألاّ يتدمر ؟ وكيف له ألاّ ينفجر ؟ لقد حزن الشاعر وانفجر يكتب شعرا يتحدّى به هذه الأوضاع أملا في تغييرها. وبذلك وقف الشعر أمام الواقع المرير يحاربه، " فبرزت أسماء الشعراء الواقعيين على صفحات دواوينهم"[3] يرفضون ويثورون ويتمرّدون على هذه المرحلة الحضارية، ينتظرون

---

[1]ـ زكي نجيب محمود، مع الشعراء، دار الشروق، بيروت، ص09.

[2]ـ المرجع نفسه، ص80.

[3]ـ نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص336.

النصر بفارغ الصبر، النصر المتمثل في خلق واقع جديد، ولكن طريق الشاعر إلى النصر، إنّما امتلئ بعثرات اليأس والمرارة، طريقٌ زُرع بأشواقٍ حادّة أصبح من الصعب اقتلاعها، ذلك لأن الواقع المر أصبح أمر، فكم من شاعر ذهب ضحية وقفته الصلبة من قضايا عصره مثل " زيد الموشكي ومحمد محمود الزيري ...ودخل عددٌ منهم السجون فمفدي زكرياء وسليمان العيسى... وأُبعد بعضهم الآخر عن عمله كالسيّاب والجواهري والبيّاتي "[1].

إنّ الشاعر الحديث والمعاصر انتظر الكثير وصبر صبرا لا يطاق لقدوم النصر، فلما تأكّد أن انتظار النصر هو وقتٌ ضائع من عمره أعلن أن الزمن الحديث هو زمن عنف وقهر، فجاءت أشعاره حزينة ومعبّرة عن صرخة تنطلق من أعماق الألم والتمزق الإنساني " فتجرّع غصص العذاب النفسي... أثناء عملية التأمّل في ما هو كائن وما يجب أن يكون، فظهرت في شعره معاني الغربة والتمزّق "[2].

إنّ ضربات قضايا الواقع الأليمة توالت على الشاعر المعاصر منذ الخمسينيات وأكثرها الأحداث السياسية الهائلة واتّجاهاتها والحرب والنكبات الجماعية والمآسي الفردية [3]، والفهم الخاطئ للمعاصرة والحداثة، كل ذلك خلق جوًّا حادًّا من التوتّر كاد يخنق الشاعر المعاصر إن لم نقل خنقه أشدّ خنقًا. فالكآبة تعمّقت جذورها في نفسيّته وتحوّلت إلى فلسفة تشاؤمية ترى في الوجود الإنساني شرًّا وفي الحياة سلسلة حلقاتها من الألم الذي يفتّت أجزائها.

وصدق الشابّي عندما قال: " هي صرخة من صرخات نفسي المملوئة بالأحزان " فالحياة أتعبت الشاعر المعاصر وأحزنته حتى التشاؤم، فهو لا يرى ولا يتكلّم إلاّ عن الموت والدمار والفساد والضياع، لأنه ينقل الصورة الصادقة عن الواقع المرير، فلا عجب إذا لو قلنا أنّ الشاعر المعاصر معه الحق في أن يكون حزينًا فهو ما كره السعادة إن وجدها في مجتمعه،

---

[1]ـ نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص336.

[2]ـ المرجع نفسه، ص336.

[3]ـ عز الدين إسماعيل، في قضايا الشعر العربي المعاصر، تونس، 1988، ص100.

ولكنّه افتقدها ولم يجد إلاّ ما يجعل النفس أسيرة الحزن الأبدي. وقد أكّد الشاعر العراقي البيّاتي أن الواقع المعاصر هو واقع محطّم،حيث يقول:"عندما غمر النور الواقع الإنساني أمام عيني مع بداية الخمسينيات كانت الصورة التي ارتسمت أمامي صورة واقعٍ محطّم يخيّم عليه اليأس"[1].

ولكي نوضّح أكثر أن الشاعر الحديث والمعاصر عمل جاهدًا على تغيير الواقع، وذلك في مطلع حياته الأدبية، إلاّ أن نفسيته الحسّاسة اصطدمت بمشكلات واقعه. " فمثلا الشاعر المصري" أحمد عبد المعطي حجازي " كانت له ثقة كبيرة بتغيير الواقع المرير ومحاربته لكن عندما نفذ صبره انتهى إلى رثاء عمره الجميل الذي سخّره في بناء الأحلام والأماني لكن أمله خاب وضاعت أحلامه ليكتب في آخر صفحات ديوانه الرابع (مرثية العمر الجميل) مرارة هزيمة الكلمة في مدينة بائدة:

هذا أنا أنهض في مدينة بائدة

أخرج من تحت الركام

أفلت من دم الفريسة الذي يسكنني

من وجوه أصدقائي العنكبوتية "[2]

لقد وصل حزن الشاعر إلى أبعد حدٍّ له بل وصل إلى درجة لا يميّز فيها بين الفرح والحزن بين السعادة والتعاسة، بين الضحك والبكاء، بين الفرح والضيق كل هذه المعاني الشعورية امتزجت ببعضها البعض لتعطي في الأخير كل ما يدل على المرارة والسأم والتعاسة. فلو مرّت ساعة الفرح على الشاعر، حتما سيتبعها حزنٌ طويل، حزنٌ يأتي به استذكار للآلام والأوجاع التي مرّ بها ولا زال يعاني منها. حزنٌ يجعل الشاعر يعيش في

[1]ـ عز الدين إسماعيل، نقلا عن الشعر في إطار العصر الثوري، ط1 دار القلم، بيروت، 1974، ص80.

[2]ـ نجيّة موس، ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر، جامعة تلمسان الجزائر، ص96.

خوفٍ دائم لأنه يجهل المصير، والمستقبل في نظره غامض ومظلم. لقد جاء صلاح عبد الصبور يقول عن الحزن وذلك في ديوان أحلام الفارس القديم:

أراه فجأةً إذا يمتدّ وسط ضحكة[1].

وبوصول الحزن إلى المرحلة المأساوية، أصبح ظاهرة شائعة في القصيدة العربية المعاصرة له العديد من " المحاور التي تشكّل كل منها مظهرًا من مظاهر هذه المشاعر في القصيدة المعاصرة، فاستطاع صلاح الدين عبد الصبور أن يعبّر بالحزن عن تجربة الغربة والبحث عن المثل التي عاشها واستطاع حجازي ومحمد مهران السيّد ومسلم الجابري أن يُأكّدوا مشاعرهم الحزينة من خلال محاصرة المدينة وإحساس الذات بالغربة داخلها "[2].

بعد الحديث عن ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث والمعاصر لا بأس أن نحاول الآن أن نقترب من الشعراء أنفسهم لتتبيّن بواعث حزنهم ومظاهره في شعرهم، هذه المظاهر التي تنوّعت بين الإحساس بالكآبة واليأس وبين الشعور بالغربة والحدّة والضياع ومحاصرة المدينة.

ثالثا: مظاهر وتجليات الحزن في الشعر العربي المعاصر:

تستوقفنا في هذا السياق تجربة جملة من شعراء العصر الحديث في العالم العربي، الذين يمكن وصفهم ومن دون مبالغة بشعراء الحزن، وأوّلهم تجربة الشاعر صلاح عبد الصبور فقد ردّ وبوضوح على تهمة استيراد الشاعر العربي للحزن من مثيله الأوروبي حين قال: "أريد أن أتحدّث عن قضيّتين لهج بهما بعض النقّاد أما أوّلهما فهي أن حزننا، نحن هذا الجيل من الشعراء، حزنٌ (مقتبسٌ) عن الحزن الأوروبي، وهم ينسون أنّهم حين يقرّرون هذا الأمر يحكمون علينا بعدم المسؤولية، ويتوهّمون أنّنا ما زلنا –مثل بعضهم– نعيش بين دفّات الكتب المحنّطة... وإنّي لألمس وراء هذه القضيّة الخائبة محاولة خائبة كذلك للدفاع عن

[1]ـ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية، ط2، دار العودة ودار الثقافة، ص98

[2]ـ السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة، بيروت، ص257.

الواقع العربي، وشظايا منطفئة لفلسفة تبريرية تحاول أن تقول إنّه ليس في الإمكان أبدع ممّا كان"[1].

من الواضح أن الشاعر هنا يرفض تلك التهمة الباطلة ويشير على نحو ما إلى أسباب أخرى للحزن لا تتعلّق بالمؤثرات الأوروبية، بقدر ما تتعلّق بالواقع العربي الذي يعيشه الشاعر ويتجرّع مآسيه. تكثر في قصائد صلاح عبد الصبور المعاني التي تدل على سخطه وتذمره من عصره، ومدينته، وعالمه الواقع المحبط بأشكاله كلّها، إذ يغدو الموت حقيقة مطلقة، ونهاية حتمية للأشياء يراه الشاعر في كل شيء:

مرّت ليلتنا ميّتةً كي تسقط في صبح ميّت

ومغنّينا الأعمى ماتت أغنيته

أتوّهم أحيانا أنّي أسمع وقع صداها [2]

والمدينة التي يعيش فيها الشاعر مدينة مجروحة، وهو فيها يشعر بالعزلة والفراغ القاتل ويعاني وطأة الزمن المميت:

فوق تراب مدينتنا المجروحة

وأنا، بعد زمان

أجلس في ركن جامد كالكوكب الفارغ

يتقطّر في الزمن الميّت

أهتف أحيانا، يا ربّاه !

ارفع عنّا هذا الزمن الميّت

أقسو علينا، لا تعبر عنّا كأس الآلام[3]

---

[1]ـ عبد الصبور صلاح، حياتي في الشعر، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1981، ص109.

[2]ـ صلاح عبد الصبور، الديوان، مج 3، ص464.

[3]ـ المصدر نفسه، ص465.

والأحزان كثيرةٌ، وهي ليست وقفا على شاعر بعينه، فالمشهد العربي أيّا كان فهو بؤرة للأحزان وموطنٌ لقتل الفرح، يقول فايز خضور:

" **شجونٌ فجّرت أنهار أوجاعي. وأفراحٌ حُرمتُ مذاق نكهتها، فأدمتني....**

ها جسدي يأنُّ، لوقع حاطبة وحطّاب. ألملم في قرار البئر، أشلائي وأنخوها، فلا تجري خطاي معي.ولا تحتكّ أطرافي بجدران الحفيرة. آهٍ ما أقسى التسوّل.يا مكانًا تاه من جفن المكان...!"[1]

والزمن الميّت عند صلاح عبد الصبور هو ذاته الزمن المتحجّر عن فايز خضور، إنّه الزمن الذي يعيش فيه الشاعر، وهو يرتبط بالمكان، إذ يتحجّر الزمن في المكان، ويصبح الشعور بالمسرّة ضربا من المحال:

آداد زمنٌ تحجّر في المكان

لا راهب يعطيك مغفرة، ولا شيخ يطارحك الأمان

أتُراك تحلم بالمسرّة..؟![2]

والزمن المهجو هنا ليس زمنًا سرمديا، إنّه زمنٌ يرتبط بحالة واقعية محدّدة يمر بها الوطن العربي، تجري فيها أحداث تغتال أحلام الإنسان وتسرقها، ويعيشها الشاعر في هذا العالم بأبعادها الاجتماعية والإنسانية وبهمومها القومية والوطنية:

آداد

قبل نزف الزّمن

لم أكن موقنًا أنّ هذا الوطن

مقعدٌ بائسٌ. والشعارات عكّازتان

والهوى يبرق للهوان..

---

[1] ـ فايز خضور، الديوان، ص418.

[2] ـ المصدر نفسه، 341.

آداد

حين أقصّ عليك هموم العالم

يسرق منّي الرعبُ الفرح

وتضحك في أعماق الرجفة.. [1]

والملاحظ أنّ معظم هؤلاء الشعراء هم أبناء جيل واحد، أو جيل متقارب في فترة إنتاجه الشعري، وقد وصف بعض دارسي الشعر الحديث –ومنه الدكتور عبد العزيز إبراهيم– أبناء ذلك الجيل من الشعراء بأنّهم:"جيلٌ ضائع ومن سمات ضياعه تلك الحيرة والقلق والشك "[2].

لقد أشار الكثير من الدارسين إلى نظرة الشاعر الحديث القلقة إلى العالم، فقد وصفها سامي مهدي بأنها: " كانت نظرة حيرة وقلق وشك، وضربٌ في المجهول، وكان الشاعر يشعر أنه يقف بمفرده إزاء العالم وليس لديه سلاح أو زاد سوى قصيدته " [3]. لقد أشار الدارسون إلى وجود ظاهرة حزن في الشعر العربي الحديث لكن أغلبهم لم يسبروا القصائد للوقوف على مصوغات ذلك الحزن، ففي قصيدة لصلاح عبد الصبور مطلعها " بكائية " يوضّح الشاعر بشفافية وبلغة رمزية أنّه يبكي وطنه، وهو جوهرته الثمينة، لكن تلك الجوهرة تهمّشت وتشوهت بعد أن سقطت تحت أقدام الجنود:

سقطت جوهرتي بين حذاء الجند الأبيض

وحذاء الجند الأسود

علقت طينا من أحذية الجند

فقدت رونقها[4].

---

[1] ـ فايز خضور، الديوان، ص347.

[2] ـ إبراهيم عبد العزيز، شعرية الحداثة، منشورات اتّحاد العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص201.

[3] ـ مهدي سامي، الموجة الصاخبة (شعر الستينات في العراق)، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1994، ص355.

[4] ـ صلاح عبد الصبور، الديوان، ص470.

وينهي الشاعر كل مقطع من مقاطع القصيدة المذكورة بقوله " آهٍ يا وطني " وتتكرّر هذه النهاية مرّات عديدة في القصيدة نفسها، لعلّها بذلك تشير إلى سبب بكاء الشاعر على بلاد ضاعت تحت أقدام الغزاة. ويبلغ الحزن عند هذا الشاعر ذروته حين يضيع أمله في انتظار زمانٍ آخر بينما يمتلئ قلبه بالهموم:

قلبي المليء بالهموم المعشّبة

وروحي الخائفة المضطربة

ووحشة المدينة المكتئبة[1].

ويبحث عن زمان أقل قسوة وأكثر إشراقا وأملا، لكن الحزن والتشاؤم والانكفاء على الذات هو ما يغلب على لغة الشاعر:

ها أنا أستدير بوجهي إليك، أيا زمنًا

ليس يوجد بعد، أيا زمنًا قادما

من وراء الغيوم

ها أنا أستدير بوجهي إليك، فأبكي

لأنّ انتظاري طال، لأن انتظاري

يطول، لأنك قد لا تجيء، لأنّ النجوم تكذّب ظنّي [2]

وللأسف يدرك الشاعر في نهاية قصديته أنّه لا جدوى من الانتظار لأنه " انتظار عقيم " فالشاعر على هذا النحو ينتظر زمانا آخر تتحقّق فيه أحلامه في إشارة واضحة إلى إدانته للزمن الواقعي الذي يعيش فيه، زمن الانكسارات العربية والهزائم المتلاحقة ويبدو أنّ هذا يفسّر شيوع الرموز المتناقضة في الظاهرة الشعرية الحديثة، وتوزّعُها بين رموز الخصب والانبعاث في إشارة إلى زمن الحلم، وبين رموز اليباب والتشيُّؤ والاغتراب بوصفها رموزًا

[1]ـ صلاح عبد الصبور، الديوان، ص502.

[2]ـ المصدر نفسه، ص510.

تعبّر عن صدمة الشاعر من زمنه الواقعي وتأفّفه من واقعه المأزوم: " جاءت هذه الرموز بوصفها معادلا موضوعيا، للهواجس الاجتماعية والفردية التي برزت مع بروز الشعر. ومن دون أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار، يصعب أن نفهم شيوع رموز الخصب والانبعاث في مرحلة النهوض الوطني في خمسينيات القرن العشرين. مثلما يصعب أن نفهم شيوع رموز اليباب والتشيّؤ والاغتراب، مع تنامي الاحساس بإخفاق حركة التحرّر العربية في إنجاز مشروعها الاجتماعي –الحضاري "[1].

صحيحٌ أن نبرة الحزن تطغى على العديد من القصائد في الشعر العربي الحديث، لكنّها عند السيّاب تكتسب مذاقا خاصًّا، فهو كما وصفه الدكتور محمد التونجي " يبكي ويستبكي فلا نجد قصيدة إلا وفيها دمعة " [2] إنّه الشاعر المتألّم الحزين، إذ يُطالعك الحزن حتى في عناوين قصائده التي جاءت سجلاً حيًّا لمعاناة ذلك الشاعر الكبير، ومن تلك العناوين (سوف أمضي في ليالي الخريف – سجين – الأم والطفلة الضائعة – نداء الموت – سفر أيوب – منزل الأقنان – وصية من محتضر – لأنّي غريب – رسالة من مقبرة – المومس العمياء – حفار القبور – نسيم من القبر – نفس وقبر [3]. لقد اجتمعت على السيّاب أنوعٌ شتى من بواعث الحزن، أثقلت كاهل الشاعر، وجعلته حطاما يطلب الموت وينتظره علّه يخلّصه من آلامه الجسام:

هات الردى، أريد أن أنام

بين قبور أهلي المبعثرة

وراء ليل المقبرة

---

[1]ـ سعد الدين كليب، وعي الحداثة(دراسة جمالية في الحداثة الشعرية)، اتّحاد الكتّاب العرب، 1997، ص74.

[2]ـ محمد التونجي، بدر شاكر السيّاب والمذاهب الشعرية المعاصرة، ط1، منشورات دار الأنوار، بيروت، لبنان، 1968، ص184.

[3]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، ط1، مج 1، دار العودة بيروت، لبنان، 1971، ص726، ص727.

رصاصة الرحمة يا إلهي![1]

تراوحت أسباب حزن السيّاب بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فعلى المستوى الشخصي فقد الشاعر أمّه في وقتٍ مبكّرٍ وترك هذا أثرًا في نفسه وفي شعره، كما فقد والده وجدّته التي كانت تحنو عليه، وانتقل السيّاب من قريته (جيكور) التي أحبّها وتعلّق بها إلى مدينة لم يلقى فيها إلا القسوة والحرمان وشغف العيش، لذلك وصفها بقوله:

عمياء كالخفاش في وضح النهار

هي المدينة، والليل زاد لها عماها [2]

وبكثير من الخطابية نعتها بأوصافٍ سلبية.. " بغدادُ مبغى كبير/ بغدادُ كابوس/ ردى فاسد نحن في بغداد من طين/ يعجنه الخزّاف تمثالا " [3]. بالمقابل تبقى (جيكور) في ذاكرته عالما حافلا بالنور وذكريات الطفولة التي افتقدها:

جيكور، جيكور يا حقلا من النور

يا جدولا من فراشات نطاردها

في الليل، في عالم الأحلام والقمر [4].

وهي –أي القرية– تضم رفات أمّه التي افتقدها في الطفولة لكن طيفها لم يغب عنه ولم يفارق مخيّلته طوال حياته، وبقيت صورة أمّه المتوفّاة تسيطر على وعيه وتؤثّر في شعره حتى أواخر حياته، ففي قصيدةٍ عنوانها " الباب تقرعه الريّاح "، وقد كتبها في لندن عام 1963 م أي قبل وفاته بعام تقريبا [5]. نجد هذه الأبيات... هي روح أمّي هزّها الحب العميق **حبّ الأمومة فهي تبكي**

---

[1]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، مج 1، ص706.

[2]ـ المصدر نفسه، مج 1، ص510.

[3]ـ المصدر نفسه، مج 1، قصيدة المبغى، ص449.

[4]ـ المصدر نفسه، مج 1، قصيدة أنباء جيكور، ص186.

[5]ـ يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1980، ص90.

آه يا ولدي البعيد عن الدار!

ويلاه ! كيف تعود وحدك، لا دليل ولا رفيق ؟

آهٍ ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه لكي أدقّ ولا نوافذ في الجدار

كيف انطلقتي على طريق لا يعود السائرون

من ظلمة صفراء فيه كأنّها غسق البحار ؟ [1]

يلاحظ قارئ هذه المقطوعة أنّها تلخّص أسبابا متعدّدة لحزن الشاعر، فهو غريب ومريض يناجي طيف الأم المفقودة ويتمنى عودتها، لكن هيهات أن يعود الأموات. والشاعر لا يجد بديلا عن حنان الأم، كما لا يجد بديلا عن الوطن البعيد، وتغدو الحياة التي يعيشها صحراء قاحلة لا فرح فيها ولا أمن ولا حب، لذا يتراكم عليه الحزن ويدفعه إلى تمنّي الموت:

يا خيول الموت في الواحة

تعالي واحمليني، هذه الصحراء لا فرح

يرفّ بها، ولا أمن ولا حبّ ولا راحة. [2]

وأمام تراكم المآسي في حياة الشاعر تجده يشبّه نفسه بالنبي أيوب المبتلى، لكنه لا يستطيع أن يمتلك صبر أيوب فهو في النهاية إنسان وليس نبي، إنه بكل بساطة إنسان يأكل المرض جسمه وتأكل الغربة بقايا روحه، ومصيره السوداوي المحتوم يزيد من قلقه على زوجه وعلى أطفاله الذين سيتركهم فريسة للتشرّد والفقر:

يا رب أيوب قد أعيا به الداء

في غربة دونما مالٌ ولا سكنٌ

يدعوك في الدجن

---

[1]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، مج 1، ص616.

[2]ـ المصدر نفسه، مج 1، ص278.

يدعوك في ظلموت الموت: أعباءٌ

ناد الفؤاد بها، فارحمه إن هتفا

يا منجيا فلك نوحٍ مزّق السُّدفا

عنِّي. أعدني إلى داري، إلى وطني ![1]

ومحنة السيّاب على المستوى القومي والوطني ليست بأقل قسوة من محنته على المستوى الشخصي، لقد عاش الشاعر في زمنٍ كثُرت فيه الاضطرابات فمن محنة فلسطين إلى سيطرة أنظمة رجعية ديكتاتورية على الحكم في معظم أقطار الوطن العربي، عاش السيّاب تمزّق الوطن وتشرذم وضعه، وهو العربي المؤمن بعروبته، وقد عانى الشاعر من الفقر والحرمان نتيجة التفاوت الطبقي والظلم، في بلدٍ يطفح بالنفط ويتحكّم الجوع بأبنائه، فالمومس العمياء التي جسّد محنتها في قصيدته الملحمية الشهيرة، دفعها الفقر والظلم إلى التكسّب في جسدها وهي توقد المصباح الزيتي لا لترى به بل كي يراها الزوّار فيقبلوا عليها، وماذا يدفعون ؟ إنّه ثمن زيت المصباح، ثمن البترول الذي هو ملك الشعب يمتصّه المستعمر وهو من خيرات الشعب: [2]

ويح العراق ! أكان عدلا فيه أنّك تدفعين

سهاد مقلتك الضريرة

ثمنا لملئ يديك زيتا من منابعه الغزيرة ؟

كي يثمر الصباح بالنور الذي لا تبصرينه [3].

وليس ثمّة أمل أمام تلك البائسة في ظل واقع طبقيٍّ يسحق الفقراء من أمثالها، يحرمهم كل مباهج الحياة، ويجعلها حكرا على الأغنياء من دون سواهم:

---

[1]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، مج 1، ص257.

[2]ـ محمد التونجي، بدر شاكر السيّاب، ص76.

[3]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، قصيدة المومس العمياء، مج 1، ص542.

فالنور والأطفال والبسمات حظّ المترفين

والجوع والأدواء والتشريد حظّ الكابحين..

وأنت بنت الكادحين. [1]

والحقيقة أن السوداوية تطغى على معظم قصائد الشاعر، وتلفّها بطابع من الحزن والتشاؤم فهو لا يرى في واقعه إلاّ الموت والعقم والدمار، وهذا الواقع المأساوي الذي يعاني الشاعر ويلاته ينسحب على التاريخ محاولا طمس معالمه المضيئة،يقول في قصيدته "مدينة السندباد":

هم التتار أقبلوا، ففي المدى رعاف

وشمسنا دمٌ، وزادنا دمٌ على الصحاف

محمدٌ اليتيم أحرقوه فالمساء

يضيء من حريقه، وثارت الدماء

غدًا سيصلب المسيح في العراق

فتأكل الكلاب من دم البراق [2]

مجمل هذه المآسي التي يرصدها أو يتوقّعها الشاعر هي أسباب ومبرّرات للحزن، وهي كما نلاحظ ليست مآسي ذاتية ولا تعبّر عن هم فردي خاص بقدر ما تتعلّق بهمٍّ وطني واجتماعي وسياسي عام، والشاعر يعيش معاناة وألم تلك الهموم وهي –كما يراها– متجذّرة في الواقع العربي، ولها حضورها وامتدادها التاريخي. وليس السيّاب وحيدا بين الشعراء الروّاد الذين تداخل عندهم الهم الخاص بالهم العام فهذه نازك الملائكة تعاني المأزق نفسه ويتداخل في شعرها الهم الذاتي الخاص مع الهم الاجتماعي العام: " إنّ نازك تقوم أحيانا بنوع من الاستبدال الذي تتلبّس فيه الأزمة الذاتية الخاصّة بالفرد لبوسا اجتماعيا وفكريا من شأنه أن

[1]ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، مج 1، ص542.

[2]ـ المصدر نفسه، مج 1، ص468.

يجعل منها قضية عامّة. فيما تأخذ القضية العامة، أحيانا أخرى لبوسا خاصًّا تكوّن فيه شأنا شخصيا. تقول الشاعرة في أحد مقاطع قصيدتها الطويلة (مأساة الحياة):

فأثارت كآبتي عجب النّاس من سرّها المجهول

ما دروا أنّني أنوح على مأساتهم في ظلالمها المسدول "[1]

ومن الطبيعي أن يشعر السيّاب بكثير من الحسرة والحزن وهو يجد نفسه يعيش غريبا في مدينة عربية مشوّهة المعالم، ينكر الشاعر وجه تلك المدينة التي تغيب فيها ملامح الحياة الإنسانية الحرّة الكريمة ويستبيحها تتر العصر الحديث:

أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب

فيها يهوذا أحمر الثياب

يسلّط الكلاب

على مهود اخوتي الصغار.. والبيوت

تأكل لحومهم، وفي القرى تموت

عشتار عطشى، ليس في جبينها زهرٌ

خُطّ عليها " عاشت الحياة " [2]

لقد اجتمع في السيّاب من عوامل الحزن والأسى ما تنوء بحمله الجبال، فهو وإن كان يتقاسم الهموم الوطنية والقومية والاجتماعية من شعراء الحداثة الآخرين إلاّ أنه يتفرّد بألمه الخاص وصوته الحزين فيتأوّه على عراقه البائس المنكوب، ويُدين الحرمان والعذاب والظلم الذي يراه جاثما على صدر العراق: آهٍ على بلدي، عراقِي.. جثث هنا، ودمٌ هناك.. ماذا تخلّف في العراق سوى الكآبة والجنون ؟

[1] ـ ضياء خضير، شعر الواقع وشعر الكلمات، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2000، ص85.

[2] ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، مج 1، ص473.

هل كان الشاعر يتنبّأ بالمصير القاتل الذي ينتظره العراق ؟. لكن لا يتعلّق الأمر بالعراق دون سواه، ولا يتوقّف الحزن على شعر السيّاب دون غيره من الشعراء. فهذا خليل حاوي في قصيدة ليالي بيروت يتذمّر من تلك الليالي الطافحة بالحزن واليأس حيث يقول:

في ليالي الضيق والحرمان والريح المدوّي في متاهات الدروب

من يقوّينا على حمل الصليب

من يقينا سأم الصحراء

من يطرد عنّا ذلك الوحش الرهيب [1]

هكذا نلاحظ أن الشاعر اللبناني يعاني الحزن والاغتراب مثلما يعانيه الشاعر العراقي فالأزمة العربية عامة متماثلة في العصر الحديث، وبالتالي تتماثل مواقف الشعراء العرب إزائها. وقد أشار الدكتور سعد الدين كليب إلى أن الريح عند حاوي تحمل دلالة التشيؤ والاغتراب: " ولهذا فإن الصقيع والجليد والعراء من مصاحبات الريح عنده... ممّا يعني أن الثورة على الريح هي ثورة على القيم الماديّة المبتذلة التي تغرّب الإنسان عن ذاته وعن محيطه"[2].

لقد تنبّه الكثير من نقّاد الشعر الحديث إلى عمق الأزمة الحضارية التي يعيشها الإنسان العربي في مدينته الحديثة، والتي تتسبّب للشاعر بالحزن والشعور بالاغتراب: " ماهذه الحضارة المنجزة فيها سوى حضارة الخراب،... أما حضارة المدينة فهي حضارة الرمل والزوال.. وهي مدينة ككل المدن التي لا هوية لها، ولا خصوصية، وهي المدينة التي لا تتحرك بذاتها وبفعلها من داخلها، وإنمّا تتحرك بسواها ومن خارجها والنّاس فيها دمى متحرّكة تتسابق إلى اللاشيء والفراغ بعد أن تخلوا عن هويتهم وهي مدينة تصلح لبيروت

[1] ـ خليل حاوي، الديوان، ط1، دار العودة، بيروت، 1979، ص22.

2 ـ سعد الدين كليب، وعي الحداثة، ص87.

والقاهرة والخرطوم والدار البيضاء وغيرها من مدن العالم الثالث. هي المدينة التي تخلّت عن قيمتها، فخسرت كل شيء"[1].

صحيحٌ أن معظم الدراسات النقدية ركّزت على إبراز ظاهرة الحزن عند بعض الشعراء كالسيّاب وصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة، ولكن الملاحظ أن تلك الظاهرة لا تقتصر على أولئك الشعراء من دون سواهم، والقراءة المتأنيّة لأعمال شعراء آخرين توضّح اضطراد الظاهرة وامكانية تعميمها على معظم التجارب الشعرية الحديثة، ولا نبالغ إذا قلنا إن الحزن الذي نقع عليه في شعر خليل حاوي لا يقل عمقا ومأساوية عمّا سواه ولعلّه واحد من الأسباب الذي دفعته إلى الانتحار:

وغدوت كهفا في كهوف الشطّ

يدمغ جبهتي

ليلٌ تحجّر في الصخور

وتركت خيل البحر تعلك

لحم أحشائي

تغيّبه بصحراء المدى [2]

صحيحٌ أن الشاعر يكثر من التكثيف والترميز على نبرة الحزن لكن نبرة الحزن تبقى طاغية على قصائده التي تنمّ عن ألم عميق وشعور حاد بمأساة الإنسان العربي المعاصر:

يرسب في دمي

سمك موّات

بعض أثمار معفّنة، قشور

ويدي تميع وتنطوي في الرمل

---

[1] ـ خليل الموسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر (دراسة)، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2000، ص76.

[2] ـ خليل حاوي، الديوان، ص279.

ريح الرمل تنخرها

وتصفرّ في العروق ويخرّ في جسدي وما يدميه

سكّينٌ عتيق

لو كان لي عصبٌ يثور [1].

إنّه يأسٌ لا ضفاف له، حزنٌ وسوداوية، وشعورٌ بوطأة الزمن العربي وبثقله الذي يسحق روح الشاعر، حيث تموت الأحلام وتتحطّم الأمنيات على صخرة صمّاء اسمها الواقع، وهو واقعٌ متحجّر ساكنٌ لا أمل في تغييره:

ما سوى كهفٌ يجوع، فمٌ يبور

ويدٌ مجوّفة تخطف وتمسح الخطّ المجوّف في فتورٍ ؟

هذه العقارب لا تدور

ربّاه كيف تمطّ أرجلها الدقائق

كيف تجمد تستحيل إلى عصورٍ ![2]

وحتى عند الشعراء الذين كانت معاناتهم مع الواقع أقل حدّة، إلاّ أن نبرة الحزن لا تغيب بالمطلق عن أشعارهم، خذ مثال نزار قباني الذي اهتم بالغزل وعُرف أنه شاعر المرأة ممّا يدل على إقباله على الحياة وتمتّعه على مباهجها، إلاّ أن مظاهر الحزن والكآبة والتذمّر تأخذ حيّزًا كبيرا في وجدانه وفي تجربته الشعرية، وهو يعاني من " موت العلاقات الاجتماعية بموت قيمها الإيجابية مثل الحب والعطاء والشعور بالأمان والإحساس بالجمال:

مالذي نكتب يا سيّدتي ؟ نحن محكومون بالموت، إذا نحن صدّقنا..

نحن محكومون بالموت، إذ كذبنا..

مالذي نكتب يا سيّدتي نحن لا نملك أن نحتجّ..

---

[1]ـ خليل حاوي، الديوان، ص281.

[2]ـ المصدر نفسه، ص288.

أو نصرخ.. أو نبصق.. أو نكشف عن خيبتنا.. أو نتمنّى..

الشعور الحاد بالقهر والاضطهاد واغتيال حريّة الإنسان، مصادرة ردّات فعله العفوية اختراق أمنه، وطمأنينته وكلامه الداخلي.. والشاعر هنا يجسّد الموت القسري الذي يتمثّل بالسلبية التي أوجدتها ظروف القمع الذي يحياه الإنسان العربي في كل مكان:

بلادٌ تجيد كتابة المراثي

وتمتدّ بين البكاء.. وبين البكاء

بلادٌ جميعُ مدائنها كربلاء

فالشاعر حزينٌ لأنه ابن بلاد لا مكان للفرح فيها، وهو يعمّم فجيعة كربلاء على المدن العربية، وكربلاء تمثّل فجيعة جمعية، تمثّل موت المدن العربية، تمثل اغتيال القيم، وسقوط الشرائع والنواميس، كربلاء تمثّل انتصار الظلم ومقتل العدالة "[1].

وعندما يستحضرها الشاعر ويعمّمها على المدن لا يجد إلاّ الحزن والبكاء في بلادٍ تاريخها ملطّخ بالدماء وممزوج بالآلام.

[1]ـ وليد مشوح، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، اتّحاد الكتّاب العرب، 1999، ص246.

الفصل الثانـي:

تجليات الحزن في قصيدة "خمس أغان للألم" لنازك الملائكة

تمهيد:

تعدّ الشاعرة نازك الملائكة أحد أعمدة الشعر العراقي أو العربي المهمّة لما لها من أثر في تطويره لكي يصبح بالشكل الحديث وما يسمّى بالحر. لذا فقد دلّت لفظة الحزن لديها على معانٍ متعدّدة من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها، لذلك وفّرت لنا دلالات عميقة ومتنوّعة فهي تستخدم المفردة بشكل يثير القارئ وبأسلوب متنوّع وذلك من خلال قصائدها ومفرداتها مثل: (الموت، الكآبة، الأسى، الخوف) وكلّها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها.

وفي محاولة منّا سوف نتعرض في فصلنا هذا إلى لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة أولا، وثانيا تحليل قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة.

أولا: لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة

قيثارة نازك لا تعزف إلاّ النغمات الحزينة التي تنبض كآبة ويأسًا وقلقا فهي لا ترى في الوجود إلاّ زواياه السوداء، ومن أجل ذلك دعاها بعض دارسيها بالموجة القلقة، فقد تجسّدت ظاهرة الحزن في شعرها بشكل واضح وجلي، وخير دليل على ذلك أنّها تعد من أكثر الشعراء المعاصرين حديثا عن لفظة الحزن، وفي ذلك يقول أحد النقّاد: شعرها شعرٌ أسودٌ بمجمله، وقلّما تنبض فيه لآلئ الرجاء أو الفرح، وما الحياة عندها إلاّ ألمٌ وإبهامٌ وتعقيد، فكل الصور البيضاء عند نازك تحتجب ورائها صور سوداء، فصورة الأزهار مقترنة بقاطف الأزهار، ولا ترى في بياض الثلج إلاّ كفن الموت، ولا ترى في الريّاح سوى أناشيد البدد ولا في البشر السائرين سوى قبورًا متحركة ترتدي أكفانا متنقّلة. فلا غرابة إذا في أن نتناول في دراستنا هذه القصائد التي أشارت إلى الحزن بشكل مباشر أو بصيغة مباشرة وأن نلتمس أبعاد الموقف الحزين فيما دون ذلك من قصائد.

وأوّل ما نقف عنده الآن هو الإطار المأساوي العام للموقف الحزين، وهو الذي يمثّل في هذا الوقت الإدارك الشعري هنا للصورة المقابلة للإدراك التجريدي.

أي أنّ الشعر يواجه الوقائع المفردة في الحياة والوقائع الصغيرة التي يمكن أن تكون نافذة على العالم الكبير أو التي تتذكّر فيها صورة هذا العالم، ويمثَّل لهذا هنا بقصيدة (حفّارين) للشاعرة نازك الملائكة ففي أحد مقاطعها تقول عن هذين الحفارين وهما بطبيعة الحال من حفارين القبور حيث تقول فيها:

طالما حفر في التراب

حفر في الغياب

ربّما حفر في شحور الخريف

أو عبوس الشتاء المخيف

طالما شوهدا يحفران

يحفران، يظلاّن في لهفةٍ يحفران

وهما الآن فوق الثرى ميّتان [1]

ولقد وردت لفظة الحزن واضحة في قصائد عديدة لنازك من بينها قصيدة (الكوليرا) التي تقول في مقطع منها:

سكن اللّيل

أصغي إلى وقع صدى الأمان

في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأمواج

صرخاتٌ، تعلو، تضطرب

حزنٌ يتدفّق يلتهب

يتعثّر فيه صدى الآهات

في كل فؤاد عليات

في الكوخ الساكن أحزانٌ

[1] جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة آداب البصرة، العدد60، 2012، ص83.

في كل مكانٍ روحٌ تصرخ في الظلمات

في كل مكانٍ يبكي صوتٌ

هذا حاقدٌ مزّقه الموت

يا حزن اللّيل الصارخ كما فعل الموت

طلع الفجر[1].

إن هذه القصيدة المسمّاة (الكوليرا) هي السلاح الذي دافعت به عن رأيها في كون هذه القصيدة هي أول ما كتبته الشاعرة بتفعيلة الأسطر لكونها رائدة الشعر الحر، وقد كتبتها بعدما سمعت عدد الموتى يزداد إثر مرض الكوليرا في مصر فأخذها حزنٌ عميق فنجد أن الطابع العام للقصيدة هو صورة الحزن والبكاء والسكوت وتجلّي الأموات وأجساد ارتسمت عليها صورة الحزن ونلاحظ كذلك أن الصورة الشعرية لدى الشاعرة قد حمّلتها بألفاظ لها معانٍ وأبعاد نفسية وشعرية كثيرة في (صرخات، حزنٌ يتدفّق، روحٌ تصرخ، يبكي صوت الموت حزن اللّيل، يندبه محزونٌ صوت الطفل)."وكل هذه الألفاظ قد حملت صورة الحزن لدى الشاعرة، كذلك نجد أن تكرار مفردة الموت أكثر من خمس مرّات له وضعٌ معبّر يجول في نفسية الشاعرة تجاه هذا الحدث المؤلم من حزنٍ يكمن في داخلها فلهذا تحاول أن تصل بهذه الألفاظ أو العبارات إلى الصرخة الحزينة." [2] وكذلك هناك ارتباط ترسمه الشاعرة وهو بين (الظلمة واللّيل) وبين (الحزن العميق) دلالة على أنّ هذا الحزن له بعدٌ عندما يمرّ أثناء اللّيل وفي وقت الظلام الشديد، وفي هذه القصيدة تشير للموت وما يفعله للنّاس مثل (مزّقه الموت) و (هذا ما فعلت كفّ الموت).

وقد جانست الشاعرة عبر دقّة متواصلة في إبداع واضح متواصل بين المفردات لترسم صورة متكاملة عمّا تريد إيصاله فهي تربط في (الفؤاد والكوخ)، (اللّيل الصارخ، الفجر)، (صبرٌ،

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، المجلد الثاني، دار العودة، د/ ط، ، بيروت، 1997، ص138 ص139.

[2]جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، ص85 ص86.

لحظة إخلاد)، لذا نجد أنّ نازك الملائكة قد صوّرت الحزن يتدخّل في كل لحظة تمرّ عليها ابتداء من سكون اللّيل وحتى صرخات وبكاء الأصوات وحزن اللّيل إلى أن تصل إلى ما فعل كفن الموت.

وقد جاءت لفظة الحزن متأصّلة في مقطع من قصيدتها (ثورة على الشمس) التي تقول فيها:

وقفت أمام الشمس صارخةً بها
يا شمسُ، مثلك قلبي المتمرّد
قلبي الذي جرف الحياة شبابه
وسقى النجوم ضياؤه المتجدّد
مهلا، ولا يخدعك حزن حائر
في مقلتي، ودمعة تنهد
فالحزن صورة ثورتي وتمرّدي
تحت اللّيالي والألوهة تشهد
مهلا ولايخدعك حزن ملامحي
وشحوب لوني وارتعاش عواطفي
وإذا المحن على جبين حيرتي
وسطور حزن الشاعر الجارف
فهو الشعور يثير في نفسي الأسى
والدمع في هول الحياة العاصف [1].

"تعد هذه القصيدة الذي يبرز فيها العنوان بشكل ملفت للنظر من قصائد متعدّدة لنازك الملائكة مشبوبة بحزن عميق في نفس الشاعرة، حتى أن ثورة نازك التي تندفع من الداخل قد

[1] ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص60.

رسمت صورة واضحة من خلال القصيدة نتيجة الانفعال الداخلي الذي تحسّ به، فنلاحظ أن الوجه العام للقصيدة مملوء بصور نفسية حزينة، فضلا عن تعدّد هذه الصور تبعا لحالة الحزن التي تعيشها الشاعرة،" [1] كذلك هناك بعدٌ معنويّ تأخذه القصيدة من خلال انطلاق ذات الشاعرة نفسها باتجاه أكثر من معنى، فالألفاظ التي أوردتها نازك الملائكة (الحزن، صارخة، في مقلتي، شحوب لوني، سطور حزني). كلّها تدل على مدى الحزن العميق في نفسيّتها، فهي كأنما تعيش متكيّفة مع هذه الألفاظ الدّالة على الحزن، وهي تجعل من لفظة (الشمس) تخاطبه على ما يجول في داخل نفسها المتمردة، فهي ترى أنّ حزنها يشبه حزن الشمس في (مثلك قلبي المتمرّد) ونجد أنّ هناك حسرة في نفسها (قلبي الذي جرف الحياة شبابه) وهي ترى كذلك أن حزنها نابع من هذه الثورة الداخلية والتمرّد النفسي في (فالحزن صورة ثورتي وتمرّدي).

ونجد كذلك أن الشاعرة كرّرت من (ولا يخدعك حزنٌ) دلالة على تكرار آهات الحزن العميق لديها، فضلا عن تعدّد صفات مثل (شحوب لوني، على جبين حيرتي، سطور حزني) دلالة على مدى الشعور المادي والنفسي الذي تعشيه نازك، وهناك ألفاظ نراها تدل على صورة الحزن مثل (الدمع، وجه الحياة، الكاشف، في نفسي الأسى). وقد وُفِّقت الشاعرة في هذه القصيدة في إيصال صورة الحزن إلى المتلقّي.

وفي قصيدة أخرى من قصائد ديوانها التي تقع تحت عنوان (شجرة الذكرى) تصرّ نازك الملائكة على تكرار لفظة الحزن بعدّة ألفاظ متنوعة، وكما تقول في مقطع منها:

تذكّرت والقلب في حزنه

وقوفي.. في ظلّها الساحر

كأنّ لم تمر اللّيالي الطوال

على أمسي المُبعَد.. الدابر...

[1] جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، ص87.

وقفت أُكفكف دمعي السخين

وأصرخ من ألمي الآسر !

أقصّ على ظلّها... قصّتي...

قصصت عليها حديث الكئيب

وفي يدي... الشوكة القاطعة !

أقرأها والأسى غالبي...

على ساقها اليرّة الوادعة

فيا ليدي ! جدوت ساقها !

وجدت أزاهيرها اللامعة

كأنّي بذاك.. جرحت الحياة

وعاقبت أقدارها الخادعة !![1]

لا يقتصر الحزن هنا على واحدٍ بل ربّما يأتي تبعا لظروف تحيط بالشخص وتؤدّي به إلى الحزن، وأحيانا يعبّر الفرد عن حالة الحزن التي يعيشها بأوجه مختلفة تأخذ بعدا لدى السامع فنازك الملائكة يبدو أنّها تحزن لكثير من الحالات التي تمرّ بها، فهذه القصيدة بعنوانها البرّاق (شجرة الذكرى) يبدو أن الشاعرة ترسم لذكرياتها اللوحة الكبرى وتلوّنها بالألفاظ المشوبة بالحزن، فهناك ألفاظ تدل على الحزن(ألمي، الكئيب، الأسى، قصّتي والقلب في حزنه). وهذه الألفاظ تشكّل المادة الخام لصورة الحزن النابعة من خواطر الذكريات، ونجد تكرار ضمير المتكلّم في كثير من الألفاظ (وقوفي، أمسي، يدي، ألمي، كأنّي، غالبي). دلالة على الحالة المتّصلة والانفعالية بين واقع الشاعرة وبين ما يمرّ بها من ذكريات، وهي تستخدم الألفاظ التي تحمل الواقع الحقيقي المتّصل بها، فهي تستخدم (المبعد، الأسر، الغادر، الكئيب، الأسى، جدوت ساقها اللامعة، الخادعة) وهذه الألفاظ جميعها تحمل

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص74.

دلالات ومعاني حسيّة ولها القابلية على الاستمرار في كل وقت، ولهذا نجد أن الشاعرة تميل إلى دفئ هذه الألفاظ في كثير من قصائدها، لتبقى هذه الألفاظ تحمل معنى الحزن في كل وقت، ولها القدرة على إبراز فاعلية القصيدة، " فنازك الملائكة تجعل من (شجرة الذكرى) (أقصى عليها، وقوفي في ظلّها الساحر)، كذلك ترسم لنا بصورة رمزية كيفية بدء هذه الأحاسيس من خلال ما تريده (وقفت ثم قصصت وجدت جرحت).

فنجدها أنّها تنتقل من حال إلى حال تبعا للحالة التي تمر بها. وأكبر ما تذكره يوحي إلى معانٍ هي (اللّيل) وما ينتابها فيه من مشاعر متوهّجة بالحزن والعبرة ".[1]

ولها أيضا قصيدة تُأصّل فيها من خلال (عينيها الحزينتين) وهي تحت عنوان (إلى عينيّ الحزينتين) التي تقول في مقطع منها:

عينيّ.. أيّ أسى يرينا عليكما

ويثير في غسق للدجى دمعيكما ؟

إنّي أرى... خلف الجفون.. خداعة

أشظف الكون العريض المبهم !

أخفقان.. تحت اللّيل.. ألمع فيهما

قطرات ضوءٍ..... يرتشفن الأنجما

الكون مبتسمٌ ! فأيّة لوعةٍ...

يا مقلتي... تلوح في جفنيكما ؟!

مسكتان !! لأيتما ما لا يرى

جبلٌ أقام على الظّلال وهوما

جهل الحقائق في الحياة.. فلم يطق

عن بيتها هربت عاش ومهرما

[1] جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، ص89.

مسكتان كتمتها حمم الأسى[1].

نجد هنا أن الشاعرة نازك الملائكة " تعدّ من أبرز الشاعرات اللواتي تحدّثن عن الذات بشكل صريح، وقد جعلت نازك من نفسها في كثير من قصائدها رسما تبيّن فيه مدى ما تحسّ به من ألمٍ وأسى وحسرة مشبوبة بالحزن" [2]، ومن خلال عنوان القصيدة يبدو أن الشاعرة اعتادت أن ترى الحزن يسيطر على عينيها، وهي كذلك تورد ألفاظا مترابطة فيما بينها وتحت مسمّيات مختلفة (عيني، ودمعيكما، ولوعة، جفنيكما، الدموع غشاوة) وهذه الألفاظ تأخذ بعدها الإشاري في ما تعطيه من معنى، ونجدها تضفي صفات إنسانية على بعض الموضوعات فهي تعطي الابتسامة للكون والقطرات للضوء وتذكر غشاوة الدموع.

"وقد حاولت أن تجسّد العلاقة بين مفردات القصيدة من أجل أن يتشكّل مجسّم كلّي من ذلك الحزن التي تراه في عينها. فهي تربط بين (اللّيل وغسق الدجى) و (الدموع ومظهر النجوم) وبين (ماضي الدموع وحاضرها المؤلم) وهناك صورة جميلة في قصيدة نازك هي موضع (استنطاق الكون) و (ابتسامة الكون). فهي تحاول أن تجد تلك الصورة بواسطة عيونها تجاه هذا الكون، لكن وجود الدموع قد حال دون ذلك (فإذا الدموع غشاوة) ".[3]

وهي في موضع آخر تخاطب العيون وبوجود (ياء المتكلّم)، (مسكتان)، (جفنيكما.. ورأيتما).

فهي من خلال منظومة الخطاب هذه تشكّل صورة عن تلك الأحزان التي ترسم على العيون.وفي قصيدة أخرى تصف فيها (مأساة الأطفال) ودموعهم وحزنهم العميق إذ تقول في مقطع منها:

ودموع الأطفال تخرج لكن

ليس منها يد فيّ في الشقاء

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص87.

[2]ـ جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، ص90.

[3]ـ المرجع نفسه، ص90.

هؤلاء الذين قد منحوا الحسّ ما

ما يملكون غير البكاء

منحتهم لحن الطبيعة قلبًا

وبشريًّا يتشعّر الآلاما

ورمتهم في كفّة القدر الغا

شم جسما لا يستطيع كلاما

فإذا ما بكوا فأدمعٌ خرصٌ

ربّما كان خلفها الف معنى

ربّما كان خلفها الألم القا

تل أو رغبة مع الرّيح تفنى

ولدوا صارخين بين يدي الأق

دار فليصرخوا ليوم الممات

فهم يصرخون من ألم المق

بل أو يندمون ما قد ضاعوا

أولم يقبلوا على غيهب العا

لم حيث المحيا أسًى وصراع

يا جموع الأطفال يا مرهفي الحسّ

كفاكم تفجّعا وبكاء

لم يزالو في أوّل العمر المرّ

ورؤيا تفرّقون الشفاء[1]

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص91.

لقد وظّفت الشاعرة في كثير من قصائدها الألفاظ ذات المعاني الواسعة من أجل أن تشكّل منظومة كبرى داخل القصيدة، " وهذا ممّا يسهّل على المتلقّي والقارئ لقصائدها أن يتفاعل مع نص القصيدة وأن يتفاعل مع مقصدية الشاعرة، وبذلك يترك القارئ يبحر بمخيّلته تجاه ما تحمل هذه الألفاظ من معاني ويكتشفها حتى يصل إلى المعنى" [1]، وألفاظ نازك هنا في هذه القصيدة قد احتوت فهما كاملا للمعنى، فالألفاظ (الدموع، البكاء، الألم صارخين، ضاعوا تفجّعا). كلّها تدل في نفسها على ما تكتب من حزن عميق، خاصّة وهي تتحدّث عمّا يحلّ بالطفل من مآسٍ إثر ذلك الوضع الصعب، وأنّها تصف بواسطة المفردات الشعرية ما يحدث أمامها وهي تتفجّع وتحزن من خلال (فإذا ما بكوا، فأدمعٌ خرصٌ.. ولدوا بين الأقدار.. أو يندبون ما قد ضاعوا.. وبكاء).

فهي إذا تصل إلى حد خطاب هؤلاء الأطفال"، وهي تعمل على تحريك جميع المفردات الشعرية في القصيدة التي تأخذ بعدا واسعا في إبراز صفة الحزن على القصيدة "[2]، فمن (الدموع البكاء، الصراخ، الألم، الممات، الندبة، الصراع، الأسى) إلى تجانس هذه الألفاظ وإضفاء الحس الحزني على الجو العام للقصيدة إذ أن هذه الألفاظ ومثلها أن الوجه الآخر لمعانيها يعطينا صورة وصوت الحزن الواضح.

فمن خلال القصائد التي تناولناها سلفا نلاحظ مدى تأثّر نازك الملائكة بالوضع الاجتماعي في العراق والبلدان العربية ولا سيما الوضع الأسري وما لاقته من اضطهادٍ وبخاصّة بعد فقد والدتها وتألّمها على أطفال العراق ومصر وما لاقوه من أسى، فوظّفت ألفاظ الحزن كظاهرة عامّة لشعرها، ومن خلال ألفاظ البكاء والصراخ والحزن والأسى والموت والكآبة وغيرها وخاصّة في قصائدها فالكوليرا ومأساة الأطفال وإلى عينيّ الحزينتين وغيرها وقد دلّت لفظة الحزن على معاني متعدّدة لديها من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها،

[1] ـ جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، ص92.

[2] ـ المرجع نفسه، ص92.

لذلك وفّرت لنا دلالات عميقة ومتنوّعة فهي تستخدم المفردة بشكل يثير القارئ وبأسلوب متنوّع كما ذكرنا في كلامنا في النتيجة الأولى مثل الموت الكآبة، الأسى، الخوف، وكلّها تدلّ على طابع الحزن في القصيدة لديها.

أو من حيث شخصية نازك فإنّها تمتلك شخصيّة عاطفيّة سريعة التأثّر والتأثير في المتلقّي وقد ظهر في معظم قصائدها ومنذ نعومة أظافرها فهي سريعة التأثّر كما في قصيدتها (الكوليرا ومأساة الأطفال) أي أنّها الأم الحنونة الثائرة على الواقع تعالج هذه القضايا بكل شغف عاطفي ونفسي ووجداني عظيم المنبع أصيل العاطفة والتعبير.

ثانيا: تحليل قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة

1/ قصيدة خمس أغانٍ للألم:

1 –مُهدى لى الينا الأسى والحرق

ساقي مآقينا كؤوس الأرق

نحن وجدناه على دربنا

ذات صباح مطير

ونحن أعطيناه من حبنا

ربتة إشفاق وركن صغير

ينبض في قلبنا

فلم يعد يتركنا أو يغيب

عند ربنا مرة [1]

يتبعنا ملء الوجود الرحيب

يا ليتنا لم نسقه قطرة

ذاك الصباح الكئيب

[1] ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ط1، دار الألباب، 1957، ص09، ص10.

مُهدى لى الينا الأسى والحرق

ساقي مآقينا كؤوس الأرق

2 –من أين يأتينا الألم؟

من أين يأتينا؟

آخى رؤانا من قدم

ورعى قوافينا

أمسٍ اصطحبناه إلى لُججْ المياهْ

وهناكَ كسرناهْ بددناهْ في موجِ البحيرهْ

لم نبقي منه آهةً لم نبقي منهُ عِبرهْ

ولقد حسبنَا أنّنا عدنا بمنجى من أذاهْ

ما عادَ يُلقِي الحزنُ في بسماتنَا

أو يخبئِّ الغصَص المريرةَ خلفَ أعينِنَا

ثمَ استلمنا وردةً حمراءَ دافئةَ العبيرْ

أحبابنَا بعثوا بها عبرَ البحارْ

ماذا توقّعناه فيها ؟ غبطةٌ ورضى قرير

لكنّها انتفضتْ وسالتْ أدمعًا عطشى حرارْ

وسقتْ أصابِعنا الحزينات النغَمْ

إنَّا نحبّك يا ألمْ

من أين يأتينا الألم ؟

من أين يأتينا ؟

آخى رؤانا من قدم

ورعى قوافينا

إنّا له عطشى وفم

يحيا ويسقينا

3 –أليس في إمكاننا أن نغلب الألم ؟

نُرجئه إلى صباح قادم؟أو أمسيهْ

نشغله نقنعه بلعبة بأغنيهْ.

بقصّة قديمة منسية النغم ؟

ومن عساه أن يكون ذلك الألم ؟

طفل صغيرٌ ناعم مستفهم العيونْ

تُسكته تهويدة وربتة حنونْ

وإن تبسمنا وغنّينا له ينمْ

يا إصبعًا أهدى لنا الدّموع والنّدمْ [1]

من غيرهُ أغلق في وجه أسانا قلبهُ

ثم أتانا باكيًا يسأل أن نحبّهُ

ومن سواه وزّع الجراح وابتسمْ ؟

هذا الصغيرُ... إنّه أبرَء من ظلمْ

عدوّنَا المحِبُّ أو صديقنا اللّدودْ

يا طعنةً تريدُ أن نمنحها خدودْ

دون اختلاجِ عاتبٍ ودونما ألمْ

يا طفلنا الصغير سامحنا يداً وفمْ

تحفر في عيوننا معابراً للأدمعْ

وتستثير جرحنا في موقع وموضعْ

إنَّا غفرنا الذنب والإيذاء من قدمْ

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص09 – ص13.

4 –كيف ننسى الألمْ ؟

كيف ننساه؟

من يُضيئ لنا

ليل ذكراه ؟

سوف نشربُه سوف نأكلُه

وسنقفو شُرُودَ خُطَاهْ

وإذا نِمْنَا كَانَ هيكلُهْ

هُو آخِرُ شيءٍ نَرَاهْ

ومَلامِحُهُ هِي أوّلُ ما

سوفَ نُبصِرُهُ فِي الصّبَاحْ

وسنحملُهُ معنا حيثما

حملتنا المُنى والجِراحْ

سنُبِيحُ لهُ أَنْ يُقِيم السُدُودْ

بينَ أشواقنا والقمرْ

بين حُرقتنا وغديرٍ بَرودْ

بين أعينِنا والنظرْ

وسنسمحُ أن ينشرَ البلوى

والأسَى في مآقينَا [1]

وسنُؤويه في ثِنيةٍ نشوَى

من ضلوع أغانينَا

وأخيرًا ستجرفُهُ الوديانْ

---

[1] ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص13 – ص16.

ويوسّدُهُ الصُبَّيْرْ

وسيهبطُ وادينا النسيانْ

يا أسانَا، مساءُ الخيرْ !

سوف ننسى الألم

سوف ننساه

إنّنَا بالرِّضى

قد سقينَاهْ

5 –نحنُ توّجناكَ في تهويمةِ الفجرِ إلاهًا

وعلى مذبحك الفضيِّ مرّغنا الجباهَا

يا هوانَا يا ألمْ

ومنَ الكتَّانِ والسّمسِمِ أحرَقْنَا بخورَا

ثمّ قدّمنَا القرابين ورتّلنَا سطورا

بابِلِياتْ النغمْ

نحنُ شيّدنا لك المعبَدَ جدرانًا شَذيّهْ

ورشَشْنَا أرضهُ بالزيتِ والخمرِ النقّيهْ

والدموعِ المحرقهْ

نحنُ أشعلنا لك النيرانَ من سعف النخيلِ

وأسانَا وهشيمِ القمحِ في ليلٍ طويلِ

في شفاهٍ مطبقهْ

نحنُ رتّلنا وناديا وقدّمنا النذورْ

بلحٌ من باب السكرى وخبزٌ وخمورْ

وورودٌ فرحهْ

ثم صلّينا لعينيكَ وقرّبنا ضحيّهْ [1]

وجمعنا قطرات الأدمعِ الحَرّى السخيّهْ

وصنعنا مسبحهْ

أنت يا من كفّه أعطتْ لحونًا وأغاني

يا دموعًا تمنح الحكمةَ، يا نبع معانِ

يا ثراءً وخصوبهْ

يا حنانًا قاسيًا يا نقمة تقطرُ رحمهْ

نحن خبّئناك في أحلامنا في كل نغمهْ

من أغانينا الكئيبهْ [2].

- **شرح المفردات:**

المآقي = العيون

الرّبتة = الضربة الخفيفة على جبين الطفل لكي ينام

مستفهم العيون = دائم الفضول

تهويدة = تحريك مهد الصبي لينام

رعى = صان

2/ دراسة المطلع (العنوان):

" إنّ العنوان هو العتبة الأولى للولوج إلى لمفاد ومغزى النص أو الفهم الظاهر لما يريد الكاتب الحديث عنه "[3].

---

[1] ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص16 – ص18.

[2] المصدر نفسه، ص19.

[3] ينظر، جميل حمداوي، السيموطيقا والعنونة، مجلّة عالم الفكر في الأدب والنقد، مج 25، العدد3، مارس 1997، ص

فمن الناحية الدلاليّة فإنّ العنوان يحمل عدّة معاني فلفظة " أغاني " تشير إلى معاني سارّة منها النشوة والطرب والارتياح، أما كلمة الألم فتشير إلى المعاناة فحول هذا العنون تحوم وظيفة الإغراء وشد الانتباه وهي أحد الوظائف الأساسية للعنوان.

إن بمجرّد سماع لفظة أغاني نتسائل مباشرة ما نوعها ؟ وهذا ما يجيبنا عنه النص بعد فكّ شفراته وتحليلها حيث تزول تلك الضبابية وتتكشف البنية الخفيّة للعنوان الذي يدل على انفعال نفسيّة الشاعرة المشحونة بالآلام العميقة، فالبرغم من ضبابية العنوان واختفاء البنى العميقة إلاّ أنّ القصيدة تفجّر تلك المعاني المكتنزة بأوّل بيتٍ فيها بقولها: مُهدي لياليا الأسى والندم.

وعلى الرّغم من بساطة العنوان لفظا وشكلا إلاّ أنّه حاملٌ لمدلولات عميقة بعمق نفسيّة الشاعرة والتي نكتشفها أكثر من خلال تحليلنا للقصيدة.

3/ تحليل النص:

" خمس أغانٍ للألم " رحلة قلم في عالم العذابات والوجع والأم، ومتاهة نصيّة وفخٌّ تنصبه الشاعرة وذلك ابتداء من البيت الأول للقصيدة:

مُهدى لياليا الأسى والحرقْ[1].

بحيث تبدو الشاعرة من خلال هذا البيت وكأنّها خُلقت لتحيا حزينة في أغوار الأسى والألم، إذ تعبّر عن ذلك بقولها هذا في شكل استعارة مكنية حُذف فيها المشبه به وهو الإنسان وتركت قرينة تدل عليه وهي " مُهدي " فالهديّة عادة ما تكون من إنسان لا من ظروف والهديّة ماديّة كانت أو معنوية تحمل عبارات الحب والسرور والفرح لا الأسى والحرق، وكأنّ الشاعرة تختزل معادلة حياتها كلّها في حيّز الألم وتحيا في أحضان جزيرة بائسة وتستمر في إثراء أسطر تجربتها بمعانٍ تضجّ بالحزن والألم والحرقة كما في قولها:

ساقِي مآقينَا كُؤُوسَ الأرَقْ [1].

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص09.

فمن المعروف أنّ المسقي هو المزروع أو النبات بصفة عامّة لا المآقي وهي العيون وأنّ السقي يكون بالماء وهو ملموس فالشاعرة هنا شبّهت المآقي أي العيون بالنبات وتركت قرينة دالّة عليه هي (السقي)، فقد جاءت العبارة لتعبّر عن مملكة الحزن التي تسكن قلبها فتلقاه أينما ذهبت وحيثما وُجدت، حتى عشق جرحها المتاهة في وجدانها وغلّف الحزن أوراقها ليطرّز الألم على قلبها سطوره من الأسى والحرق لتتوالى في سياق حديثها عن تجاربها العديدة من مشاعر الحزن والأسى لترحل من معانقة أوجاعها إلى سرد أحداث وجوده ونلحظ ذلك من قولها:

نحنُ وجدناهُ على دربنَا [2].

فالشاعرة وجدت الألم موضوعا في طريقها وكأنّه وُضع غصبا عنها فاقتحم حياتها وكأنّها شيئا ملموسا (نقودا أو وثائق...)، فأصبحت اللّغة المتوحّشة الكئيبة تسكن غابات عينيها.

ذاتَ صباحٍ مَطِيرْ [3].

هنا الملائكة شبّهت الصباح بالسماء، إذ يلتقي الصباح مع السماء في وجه شبهٍ بينهما وهو أن السماء تمطر شتاء أما صباحها فيمطر ألمًا وحزنًا، لأن قلبها قد أبحر في أوجاعها سفرًا واللّيل يعزف لها ألحانه فكيف تهرب من قدرٍ قد صاحب حياتها ؟ فظاهرة الحزن هنا برزت وبشكل جليّ.

وتتظافر مشاعر الحزن والألم مع بعضها في هذه القصيدة لتنقل لنا الدلالة الحقيقية لما تحسّه الشاعرة، حيث تقول نازك:

ونحنُ أعطيناهُ من حبّنا

ربْتَة إشفاقٍ وركنًا صغيرْ

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص09.

[2]ـ المصدر نفسه، ص09.

[3]المصدر نفسه، ص09.

ينبضُ في قلبِنَا

فَلَم يعُد يترُكُنَا أو يَغِيْب

عَن درْبِنَا مرَّة

ملئَ الوجُود الرّحِيبْ [1].

اعتبرت الشاعرة هذا الألم بمثابة شخص عزيز تحبّذه، أشفقت عليه فمنحته مكانة خاصّة في قلبها وقدّمت له الحبّ حتى أصبح ينبض في قلبها من شدّة هذا الحب، فلم يعد يتركها أو يغيب ويتبعها أينما ذهبت ولا يفارقها، فقد أصبح الحزن لصيقا بها، حتى أخذ بها هذا الألم للنّدم الشديد وتمنّيها لو أنّها لم تعطه فرصة الدخول لقلبها والسيطرة عليه، واصفةً لحظة عثورها عليه بالصباح الكئيب. حيث تقول في ذلك:

يَا ليتَنَا لمْ نسقِهِ قطْرَهْ

ذَاكَ الصّباحِ الكَئِيبْ [2].

ثم تعود الشاعرة لقولها:

مُهدليالينا الأسوالحرقْ

ساقِي مآقينَا كُؤُوسَ الأرَقْ[3].

فهذا التكرار دلالة على شدّة ألم الحزن في اللّيل الذي يُحدث ألمًا شديدًا وحرمانا من النوم.

وبعدها تنتقل نازك متسائلة، حيث تقول:

مِنْ أَينَ يأتِينَا الألَمْ

مِنْ أَينَ يأتِينَا ؟ [1].

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص09 ص10.

[2]ـ المصدر نفسه، ص10.

[3]ـ المصدر نفسه، ص10.

فالشاعرة هنا تتساءل عن مصدر الألم إلاّ أنّها تقصد بعبارتها الاستفهامية هاته معنًى بلاغيا يُبدِي إبرازها للأسى والحسرة، لأنّها تعي أنّ هذا الألم مجهول المصدر.

آخَ رُؤانَا مِن قِدَمْ

وَرَعَىْ قَوَافِيْنَا [2].

تقصد الشاعرة أنّ الألم ظاهرةٌ ملازمة لكلّ البشر وأنّها ظاهرة متشبّعة في نفس الإنسان عامّة والمجتمع العربي بصفة خاصّة، أي أنّ هذا الألم لم يسلم منه أحد، فاستفهامها كان لا بدّ منه باعتبارها تبحث في مصدرٍ مجهول إلاّ أنها تعي جانبًا آخر وهو أنّ الظاهرة ملازمة حياةً وموت، والأغرب في الأمر أنّها تبحث عن شيء يستحيل معرفته.

أمسٍ اصطحبناه إلى لُجَج المياهْ

وهُناك كَسَرْنَاهْ بدَدنَاهَ فِي موجِ البحيرهْ

لمْ نُبقِي منهُ آهةً لَمْ نُبقِي منهُ عِبْرهْ

ولَقَدْ حسِبنا أنّنَا عُدْنَا بِمَنْجَى مِنْ أَذَاهْ

ما عادَ يُلقِي الحزنُ فِي بَسَمَاتِنَا

أو يُخبّئ الغُصَصَ المرِيرَةَ خلفَ أُغنِيَاتنَا [3].

أرادت الشاعرة أن تقول أنّنا نحاول التخلّص من شبح الحزن، إلاّ أنّه يعود ويحنّ إلى أن يعيش معنا وفي داخلنا، فالإنسان يريد طرد هذا الألم والتخلّص منه لكن هذا الألم بقي لصيقًا بالإنسان ومصاحبا له، فعند ذهابنا للبحر أو البحيرة فبمجرّد تأمّلنا لتلك الأمواج فإنّ الألم يزول ويبحر مع الأمواج.

مِنْ أينَ يَأتِينَا الألَمْ ؟

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص10.

[2]ـ المصدر نفسه، ص10.

[3]ـ المصدر نفسه، ص10.

مِنْ أَيْنَ يَأْتِيْنَا ؟ [1].

وتعيد نازك هنا تساؤلها وتكرّر استفسارها الذي ينصبّ على معرفة مصدر الألم المجهول وذلك دلالة على الحيرة التي تسكن داخلها.

ثم تستدرج في الأسطر الأربعة المواليين مواصلة اعتبار هذا الألم شخصا محبوبا عزيزا على قلبها بادّعائها للحب المزيّف له من خلال قولها:

آخَى رُؤَانَا مِنْ قِدَمْ

وَرَعَى قَوَافِيْنَا

إنّا له عطشٌ وفَمْ

يَحْيَا ويَسْقِيْنَا [2].

فنازك قد رسمت فضاء من الحزن والألم في شكل عتبات نصيّة مشحونة بالايقاع الإنساني فتكاتفت مشاعر وأحاسيس الشاعرة بعبورها نحو جسر الألم في ليل بهيم قد رماها بأنواع الهموم فقد استطاعت أن تُترجم فصلا من حضارة الحزن والقلق والحيرة والتي بحثنا في زواياها عن لحظة من أملٍ غير أنّ قد فتحت الباب كي يدخل الحزن أحشائها.

وتتزاحم الآلام والأحزان بتوالي أسطر القصيدة وتناثر الألفاظ والعبارات والتساؤلات الدالّة على هذا الإحساس الملازم لنفسيّة الشاعرة. إذ تواجه الشاعرة بداخلها عدّة استفسارات تصعب عليها الإجابة عنها كما في قولها:

أَلَيْسَ فِي إمكانِنَا أنْ نَغْلِبَ الألَمْ ؟

نرجئهُ إلى صباحٍ قادمْ ؟ أو أمسيهْ

نشغله ؟ نُقْنِعُه بلعبةٍ ؟ بأغنيهْ ؟

بقصّةٍ قديمةٍ منسيّةِ النغمْ ؟ [1].

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص12.

[2]ـ المصدر نفسه، ص12.

إنّ كل هذه العبارات جاءت في شكل استفسارات، حيث وضعت هذا الألم في مكانة الإنسان الذي تستطيع مواجته والتغلّب عليه، غير أنّ الألم أو غيره من ممّا نواجهه في الحياة مرسوم على قدرنا ولا يمكن تغييره أو تبديله،ولأن الشاعرة لاقت بما فيه الكفاية من الوجع وتريد التخلّص منه وبأي طريقة كانت،كما نجدها تريد أن تُبعد ذلك الأسى أو تؤجّله إلى وقتٍ آخر قادم

لتستعيد أنفاسها وتستريح منه قليلا ثم يعاود الرجوع إلى حياتها، وكأنّها تريد أن تحدّد له موعدا ثم تقول: (نُشغِله، نُقنِعه بلعبةٍ بأغنيهْ)، فمن هو هذا الألم ؟ لتتلاعب به وتشغله عنها فهي تشبّهه بالطفل الصغير الذي لا يمكن أن تتحايل عليه أو تبتعد عنه، لتواصل الاستفهام والتساؤل عن مصدر الألم وماهيته:

ومَنْ عَسَاهُ أنْ يَكُوْنَ ذلك الألمْ ؟ [2].

لتجيب عن تساؤلها في البيت الموالي بـ:

طفلٌ صغيرٌ مستفهمُ العيون

تُسكتهُ تهويدةٌ ورَبْتَة حنونْ

وإنْ تبسّمنَا وغنّينَا لَهُ يَنَمْ [3].

فبما أن الألم رديف الأمل فلا عجب أن تنتحني الشاعرة أمامه وتشبّهه بالطفل المدلّل الذي تريد أن تسكته بتحريك مهده وتنيّمه بالغناء، فالشاعرة تتوهّم الألم طفلا صغيرا تعمل ما بوسعها ليدعها ترتاح، كأن تغنّي له بابتسامة أو تهزّ له بحنان، ثم تصفه قائلةً:

يَا إصبعًا أهدى لنا الدُمُوْعَ والنّدمْ

مَنْ غَيْرُهُ أغلق في وجهِهِ أسَانَا قَلْبَهُ

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص12.

[2]ـ المصدر نفسه، ص12.

[3]ـ المصدر نفسه، ص13.

ثُم أتَانَا باكيًا يسألُ أنْ نحبّهُ

ومن سِواهُ وزّع الجِراحَ وابتسمْ ؟ [1].

فالشاعرة هنا من خلال وصفها للألم فكأنّها تلقي عليه اللوم وتحمّله مسؤولية ما تعيشه من عذاب وجراحٍ وأسى دون سواه. لتنتقل بعدها قائلة:

هَذَا الصغيرُ... إنّهُ أبرأُ منْ ظلمْ

عدوُّنَا المحبُّ أو صديقنَا اللّدودْ

يا طعنةً تريدُ أن نمنحهَا خدودْ

دونَ اختلاجٍ عاتبٍ ودونمَا ألمْ [2].

عندما شبّهت نازك الألم بالطفل الصغير فهذا التشبيه لم يأتي من عدم ولم يكن تشبيها اعتباطيا فلقد اعتبرت الألم بريئا براءة الطفل حتى وإن أخطئ أو ظلم فلا نستطيع محاسبته أو عقابه وبقي ألمها في متاهة بين عدوّ محب وصديق لدود.

ثم تطلب منه الصفح وكأنّها هي من أوقع الظلم عليه ليس هو بقولها:

يَا طِفْلَنَا الصّغيرُ سامِحنَا يدًا وفمْ

تحفرُ فِي عيونِنَا معابرًا للأدمعْ

وتَسْتَثِيرُ جُرحَنَا مِنْ موضعٍ وموضعْ [3].

فهنا تودّ الشاعرة إيصال فكرة أنّ هذا الألم هو بريء منّا براءة الطفل الصغير، وبريءٌ من تهمنا الموجّهة إليه، كونه حتميّة نفسيّة في كل نفس إنسانيّة، ومن هنا نلمح أيضا إلى الاقتناع باحتضان الألم ورعايته كرعاية الطفل، واستخدمت شعر الأمر " سامحنا " وهو

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص13.

[2]ـ المصدر نفسه، ص13.

[3]ـ المصدر نفسه، ص14.

طلب السماح من وحش الألم بصيغة الخضوع والانكسار النفسي والبدني، رجاء الابتعاد أو تخفيف آثاره عنّا رغم ما سبّبه لها من دموعٍ وحُرَقٍ وإحياءٍ للجروح من كل مكان في نفسها.

إنّا غَفَرنَا الذنب والإيذاءَ مِنْ قِدَمْ [1].

تُخاطب الشاعرة في هذا البيت الألم وكأنّها تقول له يا ألم لقد جعلتنا نخسر الكثير منذ أن عرفناك، لقد ارتكبت تجاهنا ذنوبا وآذيتنا كثيرا، كفاك... ونحن سامحناك عن كل تلك الأوجاع.

لتعيد سؤالها مرّة أخرى:

كَيْفَ نَنَسَىْ الألَمْ

كيف ننساهُ ؟ [2].

تتساءل مرة أخرى الشاعرة عن كيفية أو آلية التخلّص من الألم بعد التعرّف عن الظاهرة واقتناعها بمصدره المجهول، فانتقلت إلى مرحلة البحث عن أسلوبٍ للتخلّص منه. ثم تتساءل:

مَنْ يُضِيءُ لنَا

ليلَ ذِكرَاهْ ؟ [3].

أما نازك هنا تستنكر وتستبعد نسيان الألم، لأنّها وإن نسيت ذلك ستحنُّ إليه، فهي تقصد بأن الألم هو ذلك الأنيس والرّفيق الوحيد، وهذا ما يُبيّن حتمية التعايش مع الألم والحزن.

سوف نشربُهُ سوف نأكلُهُ

وسنقفُو شرُود خُطاهْ

---

[1] ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص14.

[2] ـالمصدر نفسه، ص14.

[3] ـ المصدر نفسه، ص14.

وإذا نِمْنَا كَانَ هيكلهُ

هُوَ آخرُ شيءٍ نراهْ

وملامِحهُ هي أوّلُ مَا

سوفَ نُبصِرهُ في الصباحْ

وسَنحمِلهُ معنَا حيثُمَا

حملتناَ الُمنَى والجِراحْ [1].

بدا على الشاعرة في هذه الأسطر ملامح الاستسلام والخضوع للواقع المُعاش، بعد أن أصبح الألم لصيقا بها وملازما لها في كل تفاصيل حياتها اليومية، في مأكلها في مشربها حتى وإذا نامت كان هو آخر شيء تراه، وإذا أصبحت كانت ملامحه هي أوّل ما تبصره وكأن الحزن أكلها ولم يبقي في روحها شيئا.

ثم تستدرج في الأسطر الموالية مواصلة إعلانها للخضوع والاستسلام لشبح الألم من خلال قولها:

سنُبيح له أن يقيم السُّدودْ

بَينَ أشواقِنا والقَمرْ

بينَ حرقتِنَا وغديرٍ بَرُودْ

بين أعيُنِنَا والنَّظَرْ

وسنسمح له أن ينشر البلوى

والأسى في مآقينا [2].

ففي هذه الأبيات نجد نازك تلحّ وتؤكّد على استسلامها لشبح الألم وخضوعها له فقد سمحت له بأن يضع حدًّا بينها وبين كل وسيلة من شأنها أن تخلّصها منه ومن حرقته، وكأنّها تقول

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص14، ص15.

[2]ـ المصدر نفسه، ص15، ص16.

له هذه أنا يا حزنُ ويا ألم افعل بروحي ما تشاء فمن خلال هذه الأسطر نلتمس لنازك شيئا من

القناعة والرضا في واقعها الأليم، فهي توصّلت إلى قناعة مفادها أنّ النسيان وحده من يمكنه أن يخلّصنا من الألم، وذلك من خلال قولها:

وأَخيرًا سَتَجْرِفُهُ الوديانْ

ويوسّدُهُ الصُبَّير

وسيهبطُ وادينَا النسيانْ [1].

وبعد أن اقتنعت الشاعرة بأنّ الحل الوحيد للتخلّص من الألم هو نسيانه، إلاّ أنّها تذكّرت أنه لن ينسانا حتى وإن نسيناه لتلقي عليه التحيّة بقولها:

يَا أسَانَا، مساءُ الخَيرْ ![2].

فدلالة الزمن (المساء) تدلّ على أنّ آلام الأحزان تتذكّرنا من المساء إلى ليلٍ طويل فالشاعرة صوّرت الألم كأنّه صديقٌ لنا نلقي عليه التحيّة حالما التقيناه.

سَوفَ نَنْسَى الألَمْ

سَوْفَ نَنْسَاهُ

إنّنَا بالرّضَى

قَدْ سَقَينَاهْ [3].

ثم عاودت الشاعرة أدراجها لتصرّ مرّةً أخرى بأن الحل للتخلّص من الألم هو نسيانه حتى وإن كان سيعيش معها طوال العمر، فبقولها (سوف ننسى) أعطت لنفسها قسطا من الرّاحة بعد خوض حربٍ مع الألم والحزن اللّعين.

---

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص16.

[2]ـ المصدر نفسه، ص16.

[3]ـ المصدر نفسه، ص16.

ثم نجد الشاعرة تزجي إلى الألم طقوس العبادة ومفرداتها، بقولها:

نحنُ توّجناكَ في تهويمةِ الفجرِ إلاهًا

وعلى مذبحك الفضيِّ مرّغنا الجباهَا

يا هوانَا يا ألمْ

ومنَ الكَتَّانِ والسّمسِمِ أحرَقْنَا بخورا

ثمّ قدّمنَا القرابين ورتّلنَا سطورا

بابِليّاتِ النغمْ

نحنُ شيّدنا لك المعبَدَ جدرانًا شَذَيّهْ

ورشَشْنَا أرضهُ بالزيتِ والخمرِ النقّيهْ

والدموعِ المحرقهْ

نحنُ أشعلنا لك النيرانَ من سعف النخيلِ

وأسانَا وهشيمِ القمحِ في ليلٍ طويلِ

في شفاهٍ مطبقهْ

نحنُ رتّلنا ونادينا وقدّمنا النذورْ

بلحٌ من باب السكرى وخبزٌ وخمورْ

وورودٌ فرحهْ

ثم صلّينا لعينيكَ وقرّبنا ضحيّهْ

وجمعنا قطرات الأدمعِ الحَرّى السخيّهْ

وصنَعْنَا مسبحهْ [1].

كل هذه الطقوس والعبادات والترتيلات التي قدّمتها الشاعرة قربانا للألم هي دلالة على المكانة التي حازها الألم في حياة الشاعرة، حيث أصبح بمثابة شيء مقدّس لها.

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص17، ص18.

أما آخر ما أنهت به الشاعرة قصيدتها قولها:

أنتَ يَا مَنْ كفّهُ أعطتْ لحونًا وأغانِيْ

يا دموعًا تمنح الحكمةَ، يا نبع معانِ

يا ثراءً وخصوبهْ

يا حنانًا قاسيًا يا نقمة تقطرُ رحمهْ

نحن خبأْناك فِي أحْلاَمِنا فِي كل نغمهْ

مِنْ أَغَانِينَا الكئيبهْ [1].

ففي آخر أسطرٍ للقصيدة، قدّمت الشاعرة تفسيرا للحالة الشعورية التي تعيشها، وظلمة الحيرة التي تصاحب الألم الذي يتدفّق حنانا بقدر قسوته، فنجدها في دوّامةٍ تأخذها بين تارة الإشفاق وتارة اللّوم والعتاب، فباستطاعتنا أن نصف الألم بأمواج البحر التي تروح تارة وتغدو تارة أخرى.

فعلى الرغم من كل الجهد الذي بذلته الشاعرة لمعرفة مصدر الحزن والألم والتخلّص منه إلاّ أنها بقيت عاجزة أمام تحديّاته القويّة، بدليل أنّها أنهت القصيدة وهي تستنجد بمن يخلّصها منه لأنّ قلبها تخثّر بالآلام والأوجاع، فلا القلب أسعفها ولا المجتمع رحمها ولم تجد غير القافية تشكو لها ألمها، ولم يبقى سوى أغنيات مفترقة، إيقاعها أيّامها المتعبة ونبض قلبها هو الدليل الوحيد على أنّها ما زالت تتنفّس.

[1]ـ نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ص18، ص19.

خاتمــة

وآخر ما يمكن أن نختم به نأمل أن نكون قد وُفّقنا في اختيار موضوع البحث ومنهجيته وطريقة تحليله بصورة تروق المتلقي وتزيح عنه بعض الغموض، وما مذكرتنا سوى نافذة نطل منها على سطور تناولت جزءا من موضوع الحزن في شعر نازك الملائكة وتركت الباب مفتوحا أمام الدراسات المقبلة.

وانطلاقا من تتبعنا لثنايا البحث وتبياننا لتجليات ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة والكشف عن أسباب انتشار هذه الظاهرة، أفصحت دراستنا عن جملة من النتائج نلخصّها فيما يلي:

- الشعر العربي المعاصر جاء بالتغيير والتجديد من باب التعبير عن واقع الإنسان المعاصر وتجسيد همومه ليطرح تساؤلاته وشكوكه التي تبعث القلق والحزن والتي توحي لنا بأن لا شيء في هذه الحياة على ما يرام.

- ظاهرة الحزن والألم هي ظاهرة أدبية حديثة ومعاصرة، انتشرت بين الأدباء بعد فشل الحكومات المستقلة في تحقيق آمال الشعوب، ممّا جعل الشاعر يصاب بالاحباط ويلجأ إلى التشاؤم ويفقد الشعور بالانتماء إلى وطنه.

- إنّ النظرة السريعة لشعر نازك الملائكة تشعرنا بأنّ الشاعرة كانت تعيش في عالم خاص بها ينهض على اليأس والألم والغربة والعيش مع ذكريات الماضي.

- يتميّز شعر نازك الملائكة بالحساسية المفرطة والألم الحاد، إنّه شعر امرأة من الشرق أحبّت أن تعيش، أن تحيا، أن تحقّق ما تصورته في فجر عمرها عن غد موعود.

- نازك الملائكة شاعرة عراقية عُرف شعرها بالحزن والألم جرّاء ما عايشته في محيطها الاجتماعي والثقافي، فبدى أثره واضحا في شعرها وكأنّه صدى له، وهذا ما يلفت انتباه المتلقّي ويزيده لهفةً لمعرفة السر وراء ذلك.

- النص الشعري " خمس أغانٍ للألم " بُني وفق مقطوعات تمّتها نازك بالأغاني حيث أوردتها في خمس أغانٍ كلّها اجتمعت في بؤرة واحدة وهي الألم.

- تعبّر قصيدة " خمس أغانٍ للألم " عن نفسية الشاعرة الحزينة والاضطراب النفسي الذي تعيشه حيث تمثل في الشعور بالحزن.

ملحـق

1/ نشأتها:

وسط أحضان بلدة بغداد، وفي يوم 23 أغسطس 1923 ظهرت إلى الوجود فتاة قُدّر لها أن تكون شاعرة، فحفر اسمها مكانته على أرضية الشعر المعاصر بأحرف "نازك الملائكة" التي عُرفت من صغرها بالهدوء والإبداع في جوّ عائلي يغمره الحبّ والتعاطف، ووسط بيت عتيق يرجع إلى الجد الخامس لها، وقد كان شاهدا على طفولتها وصباها، لذلك ترك في نفسها بصمات لم تمحى رغم مرور الزّمن، وفي ذلك تقول: " أذكر أنّنا كنا نعيش في منزل شاهق عتيق، يقوم في ناحية من بغداد القديمة وقد انحدر إلينا من الآباء والأجداد، وهو أمرٌ كنّا نحسّه حتى في طفولتنا، فقد كان القِدم يخلق حول البيت جوًّا من الرهبة الغاضمة والعظمة الصامتة التي تركت في حياتنا حتى اليوم آثارا شديدة العمق ".

ورغم تصدّيات العادات السائدة آنذاك إزاء ولادة البنت بحيث كانت نازك بكر والديها ثم تلتها بنتان أخريان وهذا ما زاد معارفهم صخبا وزاد الوالدين محبّة وتضامنا ليرزقا بذكرين بعد ثلاث بنات وهذا ما أتمّ فرحتهم وقوّى عزيمتهم.

ينحدر لقب الملائكة من جذور ضاربة بأعماقها في التاريخ فهي ترجع إلى الجد الأقدم لأسرة الملائكة وهو النعمان بن المنذر بن ماء السماء من ملوك المناذرة النخميين في الحيرة يتميّز بمكانته التاريخية كملك عربي عمل على جمع كلمة القبائل العربية وتوحيدها.

ويرجع الأصل في هذه التسمية " الملائكة " إلى جارهم الشاعر " عبد الباقي العمري " الذي أطلق عليهم هذا الاسم حتى أصبح شائعا بين النّاس نظرا لصفاتهم الحميدة التي كانوا يتميّزون بها وحسن جيرتهم وتقواهم بحيث كان الآباء يمنعون أولادهم من اللّعب في الشارع ويربّونهم على السلوك الحسن حتى لا يصدر عنهم أيّ تصرّف سيّء كالكذب والكلام القبيح حتى أنّهم وضعوا قواعد أخلاقيّة صارمة يُعاقب من يخرج عنها، فكانت هاته الصفات النبيلة والأخلاق الرفيعة لصيقة بكل أفراد الأسرة ذكورا وإناثا، وكذا تشبّعهم بالمقوّمات الدينية بقوة وهذا ما عزّز صلتهم ومعاملتهم الحسنة للنّاس، ولهذا كان لقب الملائكة أجدر بأن يحمل في طيّاته مثل هذه الصفات، ورغم ما يحمله اللّقب القديم " الجلبي " من نسب عريقٍ وجاهٍ وثراء ونفوذٍ

وعلمٍ وأدبٍ كوّن لهم مكتبة تجمع مختلف العلوم من دين وتفاسير وفقه وشعر إلاّ أنّهم استحسنوا لقب الملائكة والتمسوا فيه نوعا من الشاعرية، بالإضافة إلى السلوك الحسن الذي يشير إليه، ما جعلهم يتخلّون عن لقب الجلبي بحيث كان أوّل من تلقّب به هو والد نازك ثم إخوته ثم أبناء أعمامه فشكّلوا الدفعة الأولى الحاملة لهذا اللّقب ليُتداول فيما بعد بين أبنائهم.

وممّا هو معروف أنّ نازك نشأت في بيئة أدبية كان لها تأثيرها المباشر في نزوحها نحو الشعر بدءا من معلّمها الأول أبوها " صادق الملائكة " الذي لم يرضى بتسمية نفسه شاعرا بسبب تواضعه رغم نظمه للشعر وتأليفه لأرجوزة تحوي أكثر من ثلاثة آلاف بيت، ليليه دور الأم " سليمة الملائكة " التي عُرفت باسمها الأدبي " أم نزار الملائكة " والتي كانت تحتكّ بالشعر وتنظمه وتنشره في صحفٍ عراقية، وكان آخر ديوان لها " أنشودة المجد " الذي نشرته ابنتها نازك بعد وفاتها، ليس هذا فحسب بل حتى خاليها الدكتور " جميل الملائكة " و" عبد الصاحب الملائكة " كان لها تأثيرهما الواضح على شعريّتها من خلال نظمهما للشعر وتعلّقهما به، وكذا أختها إحسان وأخوها نزار، فكيف لا تنشأ شاعرة في سنّ مبكّرة وسط حلقة كبيرة مشعّة بالشعراء، حتى أنّها سُميّت بالشاعرة وهي في الطور الابتدائي لأنها كانت تقول شعرا عاميًّا وهي لا تعي مفهوم الكلمة في حدّ ذاتها إذ تقول: " وقد بدأت أنظم الشعر وأحبّه منذ طفولتي الأولى، والواقع أنّني سمعت أبويّ وجدّي يقولون عنّي إنّني " شاعرة " قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة...".

غير أنّ اهتمامها بالشعر وحبّها له لم يبعدها عن الدراسة العادية بل إنمّا كانت تتقن المواد الدراسية وتتميّز بها عن بقيّة الفتيات تقول: "...كنت منذ صغري أحبّ اللغة العربية والانجليزية دروس الموسيقى كما كنت أجد لذّة في دراسة العلوم خاصّة علم الفلك وقوانين الوراثة والكيمياء، ولكنّني كنت أمقت الرياضيات مقتا شديدا...".

أما عن مرحلتها المتوسّطة فقد كانت وجهتها دراسة العروض دون مساعدة من أحد ممّا ساعدها كثيرًا على نظم الشعر فارتاحت مقدرتها الشعرية، وبدأت تنظم الشعر في المناسبات وبهذا عاشت نازك طفولتها في جوّ أدبيّ رسم لها الطريق نحو النجاح والتألّق، فقد واصلت

دراستها في جامعة " وسكونسن " الأمريكية سنة 1954م بعد أن تخرّجت من دار المعلمين العالمية سنة 1944م، وفي عام 1962م تزوّجت الدكتور عبد الهادي محبوبة بعدما أضربت طويلا عن الزواج بسبب آرائها الفجة في الحب.

إنّ ما زاد في نشاط واجتهاد نازك وما أثرى رصيدها اللّغوي هو تطلّعها إلى دراسة الأدب القديم وخاصّة النحو فقد أعطاها والدها كتبا مثل: شرح شواهد " ابن عقيل للجرجاني " و" فقه اللّغة للثعالبي "، بالإضافة لتناولها كتب أخرى في النحو مثل: " شذور الذهب لابن هشام " فدراسة هذه الكتب كانت تشكّل لديها متعة فكرية، أما في حقل اللّغة والأدب فقد قرأت عمدة ابن رشيق وأدب الكاتب وخزانة الأدب البغدادي، والملفت للانتباه أنّها قرأت البيان والتبيين في ثمانية أيام، وهذا راجع إلى عادتها المتاصّلة في القراءة الكثيرة، لكن أدّى بها هذا إلى إصابة عينيها بالتهاب ومنه إلى ترك المطالعة.

وقد تنوّعت قراءاتها وتعدّدت بين الشعر والنثر فمن الشعر قرأت ديوان البحتري وابن زيدون وابن خفاجة وابن سهيل وحفظت الكثير من أشعارهم ومئات الأبيات من الجاهلية أما من الدواوين الحديثة في العراق قرأت لعلي محمود طه، " الملاح التائه " بحيث كانت تستمتع كثيرا بحفظ الأبيات ممّا جعلها تكتسب سمة النابغة، ومن بين قراءاتها للنثر نجدها قارئة لكل من" رسالة الغفران " و " الضرائر "، و " ما يسوغ للشاعر دون الناثر " للألوسي الذي أحبته كثيرا.

إن شخصية نازك متفتّحة على الطموح المتعالي وحب التطلّع إلى الأكثر فهي لا تركّز على جانب معيّن في تنمية ثقافتها وإنّما دخلت إلى عالم الثقافة والفكر من عدّة أبواب، فحتى دراسة الموسيقى التي رفضها الوالد بسبب مخالفتها الأعراف في بادئ الأمر ثم تخطّي كل الحدود بالموافقة اكتسحت مجالها ودرست أصولها على أيدي ذات مهارة موسيقية عالية، حين دخلت معهد الفنون الجميلة عام 1942م.

وعشقها للغة العربية لم يجعلها تتخلّى عن بقيّة اللّغات كالانجليزية بحيث قرأت " **لشكسبير**" و " **بايرون** " و " **شللي** " و " **كينسي** " بلغتهم الأم، واللغة اللاتينية التي كتبت بها

مذكّراتها ونظمت بها بعض النّشيد البسيط العبارات، قالت في ذلك: " وقد أُعجبت أشدّ الإعجاب بشعر الشاعر اللاتيني " كاتولوس " وحفظت مجموعة من القصائد له ما زلت أترنّم بها أحيانا في وحدتي فأجد سعادة بالغة في ترديدها...".

ولم يتوقّف الأمر هنا وإنما بدأَت تعلّم اللغة الفرنسية عام 1949م دون أن تحتاج إلى معلّم بل اكتفت بالكتاب الذي أهداها إيّاه عمّها غير أنّه كانت لديها صعوبة في نطقها.

إنّ تنوّع ينابيع الثقافة لدى بنت الرافدين من الأدب العربي والغربي وسيلانها المتدفّق من الفنون الأخرى جعلها تحتل المراتب الأولى ثقافة في جيلها، ويتجلّى ذلك من خلال كتاباتها في اللغة والشعر.

2/ أعمالها الأدبية:

برزت نازك الملائكة في الساحة الفنيّة العربية بإبداعات رسّخت وجودها الأدبي وتركت بصمات خالدة ترفع اسمها وتعلي من شأنه لترقى إلى مرتبة كبار الشعراء، فكانت "مأساة الحياة" التي نظمتها سنة 1945م وتظم ألفا ومائتي بيت أول مطولة شاهدة على إنتاجاتها وتعني بالمأساة الموت الذي أصاب الجيش العراقي إثر انهزامه أمام الجيش البريطاني، فكانت القصيدة مرآة عاكسة وتجسيدا فعليا لما يغمر ذاتها من حزن وكآبة، وقد تعدّدت مواضيع قصيدتها " مأساة الحياة " بين التحدّث عن الرعب والفزع الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية وبين تصوير الأطفال الأبرياء المتحمّسين لرؤية آبائهم الذين احتضنتهم الحروب فتارة تستجمع أوصاف المدن والقرى الباهية التي أفقدها الإجراميون حسنها وبهاءها

عن جمود الرجاء في أعين القتـ لـى ولون الشرود والنسيان

العيون التي تحدّق في اللاشيء في غفلـة من الأزمـان

عن عيون كأن فيها فتـورا سائرا من وجودنا المجنون

وعيون كأنها تقذف اللعـنة والموت في لظى وجنـون

وعيون ترسب الصمت فيهـا وانطوى خلف صوتها الفاتر

وما انتهت من إتمام مطولة الحياة حتى بدأت تنظم ديوانها الأول عاشقة اللّيل بنفس الفكرة الحزينة الذي أصدرته سنة 1947م، إذ تقول: "... أرفض الموت رفضا كاملاً لا يشاركني إيّاه بشر غيري لأن البشر كلهم يتقبّلون الموت إلاّ أنا رفعت علم العصيان والتمرّد على الموت...".

فمن خلال قولها هذا يتّضح أنّ الشاعرة محبّة للحياة ولا تودّ مفارقتها كما أنّ خوفها من الموت ورؤيتها له من وجهة سلبية أضفى على كل قصائد الديوان صبغة الحزن والكآبة والتعدّي على الواقع وانغلاقها على المجتمع، لذلك اتّسمت قصائدها كما هو معروف بالغموض، ويرجع كل ذلك إلى خوفها من الموت أوّلا وكرهها للاستعمار البريطاني ثانيا وعدم تقبّلها للعادات الصارمة التي تقف بالمرصاد في وجه المرأة العراقية وحريّتها وثقافتها، واحتقارها للجنس الآخر والزواج لأنّها ترى أنّ الحب لما له من حسيّة يحطّم روح الإنسان ويضعف شخصيّته وهذا ما نجده ظاهرا في قصيدتها " مدينة الحب ".

ورغم ملازمة الحزن والعذاب لكل قصائد هذا الديوان إلاّ أنه استُقبل بأيدي مفتوحة من طرف الجمهور ولقي حظًّا وافرا غمر صداء الكثير من المعجبين وكتب حوله الكثير من المقالات وإن ما زاد وعذابها هو حمل أعباء قضايا وطنها ومشاركة آلامه وأحزانه، بحيث تعاطفت مع أبناء مصر وبكت معهم في محنتهم من " وباء الكوليرا "، فكانت كلّما تسمع المذيع يعلن عن عدد الموتى تنفعل وتتأثّر أيم تأثر إذ تقول عند سماعها عن إعلان موت ألف شخص في يوم واحد: " وعندها كنت أبكي وقفزت من السرير وتناولت أوراقا وقلما وغادرت بيتنا الذي يكون مليئا بالحركة والأصوات في كل جهة ولجأت إلى بناية كانت تبنى على جوار بيتنا فصعدت إلى سطحها فجلست على دكة فيها ورحت أنظم قصيدتي المعروفة " الكوليرا ".

فكتبت قصيدة بعنوان " الكوليرا " وأدرجتها ضمن ديوان شظايا ورماد تقول فيها:

سكن الليل

أصغ إلى وقع صدى الأثاث

في عمق الظلمة

تحت الصمت

على الأموات.

إنّ ديوان شظايا ورماد عبارة عن مرحلة جديدة انتقلت إليها نازك من ظلام اللّيل إلى عاطفة متأجّجة راحت تنظم عليها قصائدها والتي أطلقت عليها عنوان " شظايا "، ورغم أنّها حاولت الخروج من بوتقة الحزن المظلم إلاّ أنها وجدت نفسها محاصرة بحباله، حتى انتهت بتسمية هذه المجموعة بشظايا ورماد والتي تتضمن دعوتها إلى الشعر الحر من خلاله، وهذا ما أدّى إلى حدوث ضجّة كبيرة تحدّثت عنها نازك في كتابها " قضايا الشعر المعاصر " والذي ذُكر من خلاله أن بداية الشعر الحر كانت سنة 1947م حيث قالت: " وما كاد هذا الديوان –أي ديوان شظايا ورماد– يظهر حتى قامت له ضجّة كبيرة في صحف العراق، أثيرت حوله مناقشات حامية في الأوساط الأدبية في بغداد وكان كثير من المعلّقين ساخطين يدينون للدعوة كلها بالخيبة الأكيد...".

غير أنّ هذا النوع لم يحظى بالاستقبال الوافي بسهولة من طرف متذوّقي الشعر لأنهم اعتادوا على نمط آخر وتعلّقوا به.

وبعد جهد كبير وتأليف أعلى من سمعة الشاعرة بحد ذاتها وصلت إلى ذروة النضج الشعرية منه خلال ديوانها الثالث " قرارة الموجة " الذي اتّخذته سبيلا للخروج من دائرتها المنغلقة إلى عالم منفتح على القضايا الاجتماعية المختلفة، بما فيها الاهتمام بتحرير المرأة من قيود العادات والتقاليد الظالمة، وبهذا كان ديوانها " قرارة الموجة " موجّه نحو الإحساس بالآخرين والتعايش معهم وتفهّم مصاعبهم من خلال تجربتها الخالصة.

وفي سنة 1967م أصدرت نازك آخر ديوان لها المعنون " بشجرة القمر " استبعدت فيه شكل الشعر الحر لتعود أدراجها إلى شكل الشعر العمودي، وقد يرجع ذلك إلى صعوبة هذا المسار والبقاء فيه إذ تقول في مقدّمتها: " وإنّي لعلى يقين من أنّ تيار الشعر الحر سيتوقّف في يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بها ".

وقد كان ديوان " شجرة القمر " يمثّل اختلافا كبيرا عن " قرارة الموجة " التي تتّسم بالأسلوب الغامض غير المألوف والنظرة المأساوية للحياة في حين جاءت " شجرة القمر" وعاءا للأحاسيس والصور مليئا بنبرة التفاؤل.

وبعد عام 1968م قرّرت نازك التوقّف عن نظم الشعر ما عدا بعض القصائد المتناثرة بين الفينة والأخرى، لكنّ انعزالها عن نظم الشعر لم يدم سوى أربع سنوات فلم تدرك نفسها إلاّ وهي تقول بعض الأبيات إثر تلقّيها بطاقة تهنئة بمناسبة عيد الفطر فوجدت نفسها مضطرّة لإكمال كل الأبيات وما هي إلاّ فترة قصيرة وإذا بالقصيدة طويلة مكتملة، فكانت البداية الأولى لانطلاقتها الشعرية، بعد ذلك الصمت، وبعد هذه الانطلاقة عادت المياه إلى مجاريها بعودة الشعر إلى حياة نازك وأعلنت عن انفجار شعري مرّة أخرى يقسّم ثلاث مجموعات على التوالي " الصلاة والثورة " سنة 1978م، " يغيّر ألوانه البحر " سنة 1977م و " دم على الزنابق ".

كثيرا ما نجد من أصحاب العلم والمعرفة والأدب ما ينحاز إلى نوع معيّن أو تخصّص واضح يصوب أسهم بحثه اتجاهه، غير أنّ بنت الرافدين أبت إلاّ وأن تخرج عن هذا النطاق وتحشر نفسها في العديد من الأمور فلم تكن قائلة للشعر فحسب، وإنّما كانت ناقدة له أيضا فراحت تدرس النقد الأدبي موجّهة أنظارها إلى الشعر العربي المعاصر بأبحاث ودراسات جديدة خالصة مثل: " هيكل القصيدة "، الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر "، " الشعر والموت " و " منبر النقد ".

3/ وفاتها:

وبعد حياة مليئة بالجدّ والتأليف والنظم للشاعرة وافتها المنية في 20 يونيو (حزيران) 2007م عن عمر يناهز 85 سنة بسبب إصابتها بهبوط حاد في الدورة الدموية، ودُفنت في مقبرة خاصّة تعود لعائلتها في غرب العاصمة المصرية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1- نازك الملائكة، ديوان قرارة الموجة، ط1، دار الألباب، 1957.

المراجع:

1- ابراهيم عبد العزيز، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2005.

2- الحاج محمد يوسف أطفيش، تيسير التفسير، تحقيق محمد طلاي، ج 11، د ط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د ت.

3- خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، د ط، د. م. الجامعية، الجزائر 1982.

4- خليل الموسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر (دراسة)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2000.

5- ديوان بدر شاكر السياب، ط1، مج1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1971.

6- ديوان خليل الحاوي، ط1، دار العودة بيروت، 1979.

7- ديوان صلاح عبد الصبور، مج3.

8- ديوان فايز خضور.

9- ديوان نازك الملائكة، د ط، مج2، دار العودة، بيروت، 1997.

10- زكي نجيب محمود، مع الشعراء، دار الشروق، بيروت.

11- سعد الدين كليب، وعي الحداثة (دراسة جمالية للحداثة الشعرية) ا .ك. ع 1997.

12- السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة، بيروت.

13- ضياء خضير، شعر الواقع وشعر الكلمات، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص2000.

14- عبد الرحمان المحمدي، تفسير سورة طه، ط1، مطبعة الفجر الجديد، 1990.

15- عبد الصبور صلاح، حياتي في الشعر، دار اقرأ، بيروت، لبنان، 1981.

16- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية، ط 2 دار العودة ودار الثقافة.

16- عز الدين إسماعيل، في قضايا الشعر العربي المعاصر، تونس 1988.

17- عز الدين إسماعيل، نقلا عن الشعر في إطار الشعر الثوري، ط 1، دار القلم، بيروت 1974.

18- محمد التونجي، بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة، ط 1، منشورات دار الأنوار، بيروت، لبنان، 1968.
19- محمد عثمان نجاسي، القرآن وعلم النفس، ط6، دار الشروق
20- مهدي سامي، الموجة الصاخبة (شعر الستينات في العراق)، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1994.
21- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
22- وليد مشوح، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، اتّحاد الكتّاب العرب1999.
23- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج13، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، د ت.
24- يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، منشورات ا.ك.ع دمشق 1980.

المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.
2- أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مادة حزن)، د ط، ج 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1976.
3- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامري ج3،
4- مجمع اللغة العربي المصري، المعجم الوسيط، ج1، دار الجمهورية للصحافة، 1985.

المقالات المنشورة في المجلات:

1-أحمد سيف الدين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، مج 37 عدد10، 2015.
2- جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة آداب البصرة عدد60، 2012.
3- جميل حمداوي، السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر في الأدب والنقد، مج 5، عدد3 مارس 1993.
4- نجية موس، ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر، جامعة تلمسان الجزائر.

فهرس الموضوعات

الرقم	المحتوى	الصفحة
01	**الشكر**	/
02	**الإهداء**	/
03	**مقدّمة**	أ
04	**الفصل الأول:**ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر	06
05	**أولا**: مفهوم الحزن	06
06	**01/** لغة	06
07	**02/** اصطلاحا	06
08	**أ/** الحزن في القرآن الكريم	07
09	**ب/** الحزن في علم النفس	09
10	**ج/** استغلال لفظة الحزن في القصيدة العربية المعاصرة	10
11	**ثانيا**: أسباب ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر	11
12	**ثالثا**: مظاهر وتجليات الحزن في الشعر العربي المعاصر	14
13	**الفصل الثاني**: تجليات الحزن في قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة	28
14	**أولا**: لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة	28
15	**ثانيا**: تحليل قصيدة خمس أغانٍ للألم لنازك الملائكة	37
16	**01/** قصيدة خمس أغانٍ للألم	37
17	**02/** دراسة المطلع (العنوان)	40
18	**03/** تحليل النص	41
19	خاتمة	52
20	ملحق	54
21	قائمة المصادر والمراجع	62
22	فهرس الموضوعات	66
23	ملخص	/

ملخص:

إنّ ظاهرة الحزن عند الشاعر المعاصر تدلّ على نوع من الحُزن، إنّه قلق البحث عن المعنى الحقيقي للحياة، وقد حاول بعض النُّقاد العرب البحث في أسباب وجود هذه الظاهرة لنقف على نوعين من أسباب الحزن، أوّلهما: أسباب ذاتية يتعرّض لها الشاعر في حياته كالفقر والاغتراب، وثانيهما: أسباب موضوعية تتّصل بالواقع العربي المعاصر وما فيه من أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، ولا شكّ أنّ الشاعرة العراقية " نازك الملائكة " فتحت عيونها إلى الآفاق الوسيعة الإنسانية وكانت ثائرة على الواقع المرير، شعرها نابع من أحاسيسها، ويبدو ذلك في قصيدة " خمس أغانٍ للألم " حيث نجد كمّية الحزن والألم في هذه المقطوعة الشعرية واضحة تعبّر عن الكبت النفسي الذي تعيشه " نازك ".

الكلمات المفتاحية: الحزن، شِعر، نازك الملائكة، خمس أغانٍ للألم.

Abstract:

The phenomenon of sadness in the contemprary poet shows a specific sadness, it's the worry of looking for the exact meaning of life.

Some Arab critics have tried to find out the reasons of this phenomenon and they sort out two main reasons:

Personal sadness that the poet can face due to poverty or migration.

Objective reasons related to the Arab situation politically socially and economically. Its doubtless that the iraqi poetess Nazik Almalaika opened her eyes to the human perspective and she was revolutionist against the bad situation, her poetry originates from her feelings, and this is obviously shown through her poem: " Five songs for sadness " where we can observe a quantity of sadness and pain, which clearly presents Nazik's pent up emotions.

Key words:

-Sadness, poetry, Nazik Almalaika, Five Songs For Sadness.